أصول اللهجة العراقية

مضت على العراقيين أجيال عدة وهم يتخاطبون بلهجتهم المحكية الشائعة الآن ، أو بلهجة شبيهة بها جداً . وهـذه اللهجة العراقية الشائعة اليوم ، إحدى عـدة لهجات انشقت عن الفصحى ، فتعددت ، واختلفت باختلاف البلدان فلهجة العراق الشائعة الآن غير لهجة الشام ، ولهجة الشام غير لهجة مصر ، ولهجة مصر غير لهجة المغرب الأقصى ، ولهجة البدو غير لهجة الحضر في هذه الأقطار كلها على أن هناك قدراً جامعاً واحداً اتفقت فيه هـذه اللهجات المنشقة عن الفصحى ، وهذا القدر الجامع هو سقوط الإعراب من أواخر الكلم في اللهجات العامية والإعراب ، كما لا يخفى ، من أظهر مميزات الفصحى ويبدو أن العودة الى الإعراب في مقدمة المشكلات التي تستدعي العلاج

هذا ، والى الانقلابات العامة ، والى تعاقب الدول ، والى ما يترتب على ذلك من تبدل في النظم السياسية والاجتماعية والثقافية ، ثم الى اختلاط الشعوب وامتزاج بعضها ببعض ، والى تأثير الزمان والمكان والبيأة ، نقول : إلى هـذه العوامل مَرَدُّ تولدِ هذه اللهجات المحكـية في الأقطار العربية

لا مناص للأمم التي ألقت السـلاح مغلوبة على أمرها من أن تخلي مكانها للأمم الغالبة ، ولا مفر لها من التقهقر ، لتتقدم تلك الأمم الفتيّـة بنظمها وأوضاعها الجديدة ، كما اتـفق ذلك للعرب وللغة العربية في مرحـلة من مراحل تخلف الأمة أو رقدتها وغلبة الأمم الأعجمية ، ويا لها من رقدة طويلة وسبات عظيم !

في هذه المرحلة العصيبة ، أخذت تنشق عن الفصحى لهجات متعددة وهي ، وان لم تتغلب على الفصحى في الكتابة وفي التأليف غالباً ، الا أنها طغت عليها في المخاطبات العامة الجارية ، في المنزل والسوق ، وفي المصانع والمتاجر والمزارع ، ولدى المحترفين والماهنين ، أي في مجالات الحياة العملية والشؤون اليومية

علم اللهجات :

من ثم ظهرت العناية بدراسة اللهجات في العصور الحديثة ، وكان المعنيّين بهذا الموضوع من علماء الفرنجة نظرهم العامة الى اللهجات ؛ إذ يرون أن لهذه اللهجات ، على أختلافها وتشعبها ، حياتها وأستقلالها ، وهم ينكرون قول من يقول إن اللهجات العامية أو المحكية لغة حادثة مشوهة عن الفصحى مثلاً وقد توسعوا في هـــذه الناحية ، حتى ذهبوا الى تأسيس علم جديد سمي (علم اللهجات) ، وموضوعه : وصف اللهجات وتعريفها ، وصلتها بأمها التي أنشقت عنها ، قائلين إن في درس أحط اللهجات فائدةً لا تقل عن درس أرقاها ، الى غير ذلك ويزعمون أيضاً أن اللهجات المحكية أو العامية ، تتميز ، فيما تتميز به ، بكونها لهجات طبيعية بعيدة عن التكلف والتصنع ، خالية عن التقعر والتحذلق ، مجردة عن الصناعة اللفظية ، الى غير ذلك مما يلاحظ وجوده في اللغات الأدبيــة ، لغات التأليف والكتابة ؛ لذلك نرى هؤلاء الباحثين من علماء الفرنجة ومقلديهم في الشرق ، يدعون الى المحافظة على اللهجات العامية ، ويعنون بالبحث في لهجات أهل البادية البعيدة عن العمران ، بل نراهم يتوجعون لما عسى أن يطرأ عليها من عوامل الأنقراض والأضمحلال أما نحن ، فنناقشهم ، ونقول لهم : لتنقرض هذه اللهجات الشائنة غيرَ مأســوف عليها ، فما فائدتنا من لهجات لا تتسع للتعبير عن مسألة علمية أو فكرة أدبية ، وقد كانت وما زالت من جملة عوامل البلبلة اللغوية ؟ فمن الخير أن تتضافر جهودنا على إماتة تلك اللهجات السقيمة ، ففي وحــدة اللغة ما فيها من الخير والصلحة ، وفي تكاثر عــدد اللهجات وأنقسامها ما فيه من الضرر والمفسدة ، خصوصاً في هذه المرحلة العصيبة التي تجتازها الأمة العربية ؛ ولذلك نرى قادة الرأي يدعون الى ضرورة تغليب لهجة واحدة سليمة على تلك اللهجات السقيمة

أغراضه شتى :

على أن أغراض الباحثين في اللهجات ، ليست واحــــدة كما لا يخفى . فمنهم من يُعْــنَى

بدراسة اللهجات الشائعة ، وتدريسها ، ومحاولة التأليف والكتابة فيها ، واستنباط قواعد وضوابط نحوية وصرفية لها ، مجاراةً لآراء من يرى ذلك من علماء اللهجات في ديار الفرنجة ، واستجابة لمذهب من يتجنّى على الفصحى ، ويلصق بها ضرباً من الصعوبة والجمود ، والفصحى بريئة من ذلك لو تدرّعوا بالجلد والصبر على الدراسة

وخلاصة القول : للأوربيين أوهامهم الشائعة في صعوبة تعلم العربية ، وكذلك لبعض من يقلدهم تقليداً أعمى من الشرقيين المتفرنجين الذين تعلموا في الجامعات الغربية ويغلو بعض المتعصبين من الباحثين الغربيين ، فيزعم أن إتقان العربية فوق الطاقة البشرية ! ولماذا لا يقولون لنا إننا لا نتعلم العربية ، لأنها لغة العالم الاسلامي ، أو لغة القرآن ولغة الآداب العربية ؟ هذا ، وما يقال عن أوهام الأوربيين في تعلم متن اللغة ، يقال عن أوهامهم في صعوبة تعلم الكتابة العربية ، فلم تنفرد العربية بشيء من الصعوبة في ضبط كتابتها ؛ لأن عدة من اللغات الافرنجية لاتقل عنها صعوبة ، ولايستثنى من ذلك الانكليزية . والحقيقة ، ليس في تعلم العربية صعوبة أكثر من تعلم عدد من اللغات الغربية والشرقية ، ولكن لتفضيل اللغات الافرنجية على تعليم اللغة العربية جملة من العلل والأسباب كما ستراه . هذا ، وقد وجد بين اللغويين قوم متنطّعون جامدون ، جهلوا كل الجهل أن اللغة كائن حي ، لاغنى لها عن النمو والتجديد والى آراء هؤلاء اللغويين المتنطعين تمرّدٌ وتُصم من وَصَم العربية ، وأدعى أن إتقانها فوق المقدور والى جانب هؤلاء المتنطعين الجامدين يوجد فريق من المقلدين المتهافتين على كل جديد ، والمتحاملين على كل قديم في هذه الناحية . ومهجُنا في هذا الباب وسط بين المنزلتين ، وهو يقوم على أمرين :

١) ضرورة المحافظة على تراثنا اللغوي ، خصوصاً في تأليف الجملة وأساليب التعبير .

٢) العناية بتنمية اللغة ، وتجديدها ، وتكثير موادها بطريق الاشتقاق والتعريب ، وزحزحتها عن خطة الجمود في هذا الشأن ، وذلك ليجد المتعلمون والدارسون والباحثون في العربية ما يجدونه في غيرها من اليسر والمرونة الضرورية للتعبير عن أدق الخواطر والآراء .

ولذلك يجب ، فيما نرى ، التوفيق بين الأمرين ، فلا نحول ، بحجة المحافظة على تراثنا اللغوي ، دون التجديد والإصلاح في هذه الشؤون

نحن لا نرى في هذه الدعوة خطراً كبيراً على لغة الضاد ، وإنما نرى الخطر كامناً في تخلف العرب أنفسهم عن مواكبة الأمم الناهضة ، سـياسياً واجتماعياً واقتصادياً فلا بدع إذا تخلفت لغتهم ، وتضاءل إقبال شبابهم عليها تبعاً لذلك ، فاللغة عنصر من العناصر الجوهرية الداخلة في حياة الأمم ، تنهض بنهوضها ، وتسف بإسفافها ، لا شك في ذلك .

وتعتبر اللغة من الأمة بمنزلة الظل من الشاخص ، تمتد بامتداده ، وتتقلص بتقلصه ، بلا ريب ولا ريب أيضاً في أن العربية تجتاز دوراً من أدوار محنتها في هذه الناحية وقد أحسن حافظ ابراهيم شاعر النيل بتصوير محنة العربية في قصيدة من عيون قصائده السائرة (١).

والواقع أن تضلع الشباب العربي هذا اليوم من لغتهم وآدابها ، يؤدي بهم غالباً الى الحرمان ، ولا يحقق لهذا الشباب النابه مرتزقاً معقولاً يعيشون من ورائه عيشة راضية ، كما يحقق لهم ذلك حذق لغة من هذه اللغات الفرنجية ، لا لأن العربية فقيرة بحد ذاتها غير قابلة للنمو والتجدد ، بل لأن الناطقين بها فقراء متخلفون

(١) عنوان هذه القصيدة (لسان حال اللغة العربية) ومطلعها :

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي	وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني	عقمت فلم أجزع لقول عداتي
ولدت ، ولما لم أجد لعرائسي	رجالا وأكفاء وأدت بناتي
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية	وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة	وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن	فهل سألوا الغواص عن صدفاتي
أرى لرجال الغرب عزاً ومنعة	وكم عز أقوام بعز لغات
أيطربكم من جانب الغرب ناعب	ينادي بوأدي في ربيع حياتي

منها :

أيهجرني قومي عفا الله عنهم	الى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى	لعاب الأفاعي في مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة	مشكلة الألوان مختلفات

بناء على ذلك يتحتم على زعماء العرب ، وقادة الرأي فيهم ، أن يعنوا بعلاج هذه المشكلة من الأساس عليهم أن يبدأوا بإصلاح أحوالهم العامة عليهم أن يبدؤوا من الأصول ، فان إصلاح الأصول يؤدي حتماً إلى إصلاح الفروع

وخلاصة القول : يتطلب إحياء اللغة ، وبعث الفصحى ، القيامَ بأعمال لا تتم إلاّ بالتضافر والتعاون على تشخيص العلل أولاً ، وعلاجها ثانياً ؛ وذلك لغلبة الجهل على الجمهور ، وانحلال الروابط التي ربط سكان الأقطار المأهولة بالعرب ، واختلاف أهوائهم ونزعاتهم . ومعنى ذلك أن إنهاض اللغة لا يتم إلاّ بمكافحة الأمية الغالبة ، وإلاّ بكثرة سواد المتعلمين الدارسين المدركين لمكانة اللغة ومنزلتها في الاجتماع ، ومن خير الوسائل لإنعاش العربية حياطتها من تسرب العجمة والرطانة والألفاظ الدخيلة ، خصوصاً تلك الألفاظ والمصطلحات الدخيلة حديثاً من اللغات الفرنجية ، إلا عند الضرورة القصوى ؛ فان خطر الدخيل الحديث في هذا العصر يتفاقم ، ويزيد يوماً بعد يوم

هذا ، وهناك من ينظر الى اللهجات ويدرسها نظرة إصلاحية تختلف عن النظرة السابقة ؛ فان هذه اللهجات تحفل بمادة صالحة : من المفردات ، والمركبات ، والفُصَح الشاردة ، على ما فيها من فساد والتواء واعوجاج . فعلينا أن نُعنى بإصلاح ذلك ، وبذل الجهد في التوفيق بين الفصحى ولهجاتها من هذه الناحية ، لنتخلص الى لغة موحدة سليمة . ومن البين أن إصلاح اللغة ، وتغليب اللهجة الفصحى على غيرها ، لا يتأتى بمراعاة قواعد النحو والصرف والإعراب فقط ، فان ذلك متعذر على الجمهور وإنما يتأتى بتنقية لهجتنا من الألفاظ والأساليب المبتذلة ، والاقتصار على استخدام المواد الفصيحة ، ثم بإصلاح المنطق ، والتلفظ بالألفاظ على النحو المأثور عن الفصحاء ، دون تحريف أو فساد أو اختلال في الحركات والسكنات والتخفيف والتضعيف والتقديم والتأخير ، وبلا شذوذ عن الأصول والقواعد اللغوية والواقع أن منطقنا سقيم ، وفي تلفظنا ما فيه من الفساد والعجمة ، وهو يذكرنا بتلك اللهجة (اللخلخانية) ، وهي ضرب من العجمة في النطق ، والبعد عن الفصاحة كما قال الجوهري في

(الصحاح) . قالوا : واللخلخانية تعرض في لهجة أعراب الشحر وعمان . هذا هو الغرض الذي توخيته من دراسة تاريخ اللهجة العراقية في هذه الكلمة

اللهجة العراقية :

استولى المغول على العراق في أوائل النصف الثاني من المئة السابعة ، ودخلوا بغداد ، فانقرضت الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ ، وظهرت الدولة الإيلخانية التي حكمت ، فيما حكمت ، فارس والعراق ، ثمانين سنة ، أو نحو ذلك وفي عصر الانقلاب المغولي هذا تغيّرت أشياء كثيرة : تغيرت العادات والرسوم والآداب واللغات ، وكان نصيب لغة العراقيين من التغيّر والتأثر في الانقلاب المذكور نصيباً موفوراً ، فقد تسرب اليها كثير من المفردات والمركبات والمواد والأساليب الإنشائية الفارسية والتركية والمغولية ، بالإضافة الى ما كان قد تسرب اليها من قبل ذلك من اللغات الهندية والآرامية والسريانية وغيرها من اللغات ولنا أن نقول استناداً الى الأساليب التي اتبعها بعض مؤرخي العصر المذكور وأدبائه وغيرهم في التأليف : إن لهجة جديدة أو غريبة ولدت في العراق ، وهي اللهجة الشائعة الآن على ألسنة العراقيين ، أو شبيهة بها . وقد نقرأ صفحة أو صفحتين من بعض الكتب التي وضعت في عصر المغول ، فيخيل الينا أنها كتبت باللهجة الشائعة في عصرنا هذا ، والأمثلة على ذلك كثيرة في تلك المصنفات . ومن ذلك يستفاد أن لهجتنا الشائعة اليوم ، أو لهجة جمهور العراقيين المحكيّة الآن ، كانت دائرة على ألسنة أسلافهم القدماء نحواً من سبع مئة سنة ، خلافاً لما يظنه كثير من الناس الذين يتوهمون أن هذه اللهجة اللغوية الشائعة الآن في العراق ليست لهجة قديمة . وما أكثر الشواهد على ذلك كما ستراه !

العادات :

ما يقال عن تاريخ اللهجات في هذا الصدد ، يقال عن تأريخ بعض العادات والأوضاع الاجتماعية والأخلاق الشائعة اليوم في العراق ، فإنها وليدة أواخر العصور العباسية ثم العصور المغولية .

وما أكثر العادات والأوضاع الاجتماعية واللغوية التي أنتقلت الينا من تلك العصور ! فكثير من هذه العادات المألوفة في العراق ، وكثير من المفردات والمركبات اللغوية الشائعة في لهجتنا الآن ، وكثير من الأوضاع الأجتماعية والآداب ، وجملة من الخرافات والخزعبلات ، ليست بحديثة العهد بل هي أوضاع وعادات وآداب ولهجات لغوية قديمة ، كانت معروفة في المئتين السابعة والثامنة ، أي في أواخر عصور الدولة العباسية وأوائل عصور الدولة الايلخانية . خذ مثلاً إقامة مجالس العزاء والهناء كما تقام اليوم ، وإنشاد الشعر في المجالس المذكورة ، فان ذلك كان معروفاً في العراق وهكذا التصديق بضروب من الخرافات والأباطيل والأحلام ، وألوانٍ من الدجل والشعبذة ، كان شائعاً في العصور المذكورة ، كما يستفاد من النظر في كتب التاريخ والأدب التي وضعت في تلك العصور

* * *

لقد أستدرجني البحث في تأريخ العراق على عهد المغول ، ودراسة شؤونه ، الى النظر في أصول اللهجة العراقية المعروفة الآن ، وصلتها بلهجة أبناء المئتين السابعة والثامنة من العراقيين ، فظفرت بمجموعة من المواد اللغوية مفردة ومركبة ، ونبذة من الأساليب التي كانت شائعة في عصر المغول ، وقارنت بينها وبين أمثالها من المفردات والمركبات الشائعة على ألسنتنا اليوم ، فخرجت من ذلك بأن لهجتنا الحاضرة لا تختلف كثيراً عن لهجة العراقيين القدماء في عصر مؤلف كتاب (الحوادث الجامعة) ، وعصر مؤرخ العراق أبن الفوطي وأمثالهما من مؤرخي عصر المغول ، كما ترى ذلك في هذه الدراسة

إن هذه الدراسة ، وإن لم تبلغ حد الكمال ، ولم تصلح أن تكون بحثاً علمياً تحليلياً في تكوّن اللهجة الشائعة بين أبناء البلاد ، على وجه يتّضح فيه تطورها ، وخصائصها ، ومقارنتها بغيرها من اللهجات المألوفة في بقية الأقطار العربية ، وإيراد الأمثلة والشواهد على ذلك بمواد هذه اللهجات ، والأمثال المضروبة الدائرة على ألسنة المتكلمين بها ، نقول : إن هذه الدراسة ، وان لم تبلغ تلك الغاية الفنية التي نصبو اليها ، الّا أن بحثنا في منشأ اللهجة العراقية الشائعة الآن ،

وفي تاريخ تطورها وتأثرها بالأحداث والانقلابات التاريخية ، لا يخلو على كل حال من فائدة .
هذا من جهة ، كما أنه بحث يستفيد منه من يُعنى بأحوال الشعب ومظاهر حياته والمستوى المدني بالغه من الحضارة ، على اعتبار أن اللغات واللهجات مرآة تنطبع عليها أحوال الشعوب وآدابها وأخلاقها وما الى ذلك فمن فوائد هذا البحث ، الاطلاع على ماضي هذه اللهجة في المئات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة ، ومقارنتها بحاضرها اليوم فإن كثيراً من ألفاظ تلك اللهجة التاريخية لا يزال دائراً على ألسنة العراقيين الى يوم الناس هذا ، في الحواضر والأرياف العراقية ، كبغداد والبصرة والحلة والكوفة وواسط وملحقاتها من الأرياف .
ويستفاد من هذه الدراسة أيضاً ما انتهت اليه اللهجة في بعض موادها من الإستقلال ، أو ما احتفظت به من الفصح والشوارد ، والالفاظ والمواد التي أُميتت وانقرضت ، ولماذا ؟

والخلاصة : في هذا البحث ما فيه من الفائدة لمن يعنى بعلم اللهجات أو اللغات المقارن ، الى غير ذلك ومجمل القول : يستفاد من هذه الدراسة أن اللهجة الحضرية الشائعة في العراق لم تتغير كثيراً عما كانت عليه في المئتين السابعة والثامنة ، فهذه اللهجة المحكية الآن قديمة ، وهي تخالف أمها الفصحى في كثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها ونغمها وجرسها وما إلى ذلك

تبدلت بعض الألفاظ العربية الشائعة في اللهجة العراقية ، كما تراه في هذه الدراسة ، تبدلاً جوهرياً ، حتى ليخيل الينا أنها من لغة أخرى غير العربية ، ومع ذلك يلاحظ أن العراقيين حافظوا على النطق بها على طول الزمان وتطاول العصور .

عوّلنا في هذا البحث على بعض المصنفات التاريخية واللغوية والأدبية التي وضعت في عصر المغول ، أو في أواخر عصور الدولة العباسية ومن بين تلك الكتب والمراجع ، ذلك الجزء التاريخي الذي نشر في بغداد سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٢ م) منسوباً لابن الفوطي ، واختير له اسم (الحوادث الجامعة) ، وهو اسم كتاب ورد في قائمة مؤلفات المؤرخ المذكور . على أننا وافقنا

على هذه التسمية المختارة لهذا الجزء التاريخي في هذه الدراسة وغيرها من الدراسات . عنيت بدرس الكتاب المذكور الذي نجهل أسمه وأسم مؤلفه في الواقع ، فوجدنه كتاباً يصح الأستناد اليه في البحث عن تاريخ اللهجة العراقية ، وكيفية أنتقالها خلال العصور الينا ، ومقارنتها باللهجة المحكية في العراق هذا اليوم .

مواد اللهجة العراقية :

نظرة في تقسيمها

تنقسم مواد اللهجة العراقية كما نجدها في (كتاب الحوادث الجامعة) ، وفي كتب أخرى وضعت في العصر الذي وضع فيه هذا الكتاب ، الى أقسام :

١) ألفاظ دخيلة من اللهجات الفارسية والمغولية والتركية ، التي عرفت في العراق بعد أستيلاء المغول على البلاد ، وربما كانت بعض هذه الكلمات الدخيلة أو العامية العراقية والمولدة مما لم نعرفه بين الألفاظ الدخيلة أو المعربة أو المولدة المعروفة ، بل ذعرت على لهجتنا في أواخر عصور العباسيين وعصور المغول من بعد ذلك فأذكر بعض المراجع التي وردت فيها ، وتاريخ ورودها إذا أمكن ، وأقارن بينها وبين ما يراد منها في لهجات الأقطار العربية الأخرى أحياناً ، وأذكر الكلمة الفصيحة التي تدل على معناها ، وأستعملها الفصحاء ، على قدر الإمكان .

٢) ألفاظ عربية مولدة [1] ، أستعملت في موارد لم يرد عن العرب أستعمالهم لها فيها ؛

---

(١) المولد ، كما لايخفى ، هو ما أحدثه المولدون الذين لايحتج بكلامهم ، ويقول آخرون في تعريفه : هو الكلام المحدث ، وقالوا « كلمة مولدة » في مقابل « كلمة عربية » . ومن الضوابط الحسنة في تعريف المولد أنه كل لفظ عربي الأصل ، تغير على مر العصور ، بسبب اختلاط العرب بالأعاجم ، بإبدال أو زيادة أو نقصان أو تسكين أو تحريك أو تقديم أو تأخير

عرف الكلام المولد ، وعرف أهله المولدون الذين أحدثوه ، في أوائل عصور تدوين اللغة العربية وتقييدها وقد توهم بعضهم أنه لا أصل له فيها ، وهو غير صحيح ، ولذلك يقول البلوي اللغوي الأندلسي صاحب كتاب (ألف باء) : لاتكاد العامة تتكلم بشيء الا وله أصل ومعنى ، علم ذلك من علمه ، وجهله من جهله هذا ، وستجد في هذه الدراسة نبذة من الكلمات المولدة في العصر المذكور

إذ أن الضرورة دعت الى أستعمال كثير من المواد أو الألفاظ الجديدة بين أفعال وأسماء ، الى صيغ ومشتقات أخرى فاذا نحن أحصينا هذه المواد ، ودرسنا ما أُستعمل منها في العراق وحده فقط ، أو فيه وفي غيره من الأقطار العربية ، انتهينا الى معرفة النوعين الآتيين من تلك المواد .

١) الألفاظ التي تستعملها الشعوب العربية ، كلّها أو جلها ، في لهجاتها ، ولا ذكر لها في المعجمات . وهذه تدعو الضرورة الى ادخالها في اللغة ، لأن أتفاق أبناء الأقطار العربية على أستعمالها دليل على أنها عربية الأصل ، وإن أغفلتها كتب اللغة ، وكم فات المعجمات العربية من مواد وألفاظ نعثر عليها في كتب الأدب والتاريخ وفي مصطلحات العلوم والفنون ! وفي وسعنا أن نقول إن كثيراً من المواد اللغوية المستعملة في اللهجات العربية لم يهتدِ الأئمة من أصحاب المعجمات اليها ، ففي إجماع الناطقين بالعربية على أستعمال لفظةٍ ما حجةٌ قاطعة على عروبتها أقوى من حجج أهل المعجمات

٢) ألفاظ لا تستعمل الا في قطر واحد ، كالعراق مثلاً . فاذا كانت هذه الألفاظ تدل على معانٍ ، ولم يوجد في اللغة ما يحل محلها ، نظر في إدماجها بمتن اللغة . أما إذا وجد في الفصحى بديل عنها ، أخذ به ، وأذيع على ألسنة المتكلمين وأقلام المترسلين .

التصرف في الألفاظ الأعجمية :

ويلاحظ أن العراقيين تصرفوا في هذه الألفاظ أو المفردات التي شاعت في لهجتهم بعد أستيلاء الدول الأعجمية ، ومنها دولة المغول ، على العراق ، فبنوا لبعض الأسماء جموعاً ، وأشتقوا من بعض الآلات أفعالاً . ومن الأمثلة على ذلك كلة (كنبوش) من الفارسية ، لِغطاء مؤخر الفرس ، جمعت على (كنابيش) ؛ و (سربوش) لِغطاء الرأس ، فارسية ، جمعت على (سرابيش) وهكذا أشتقوا من آلة تسمى بالفارسية (دُوشاخه) ، أي ذات شقين يعذَّب بها ، فقالوا (دوشخ) ، أي عذب بهذه الآلة . الى هذا ونحوه من ضروب التصرف بتلك الألفاظ مما ستراه عن قريب .

هذا ، ولهذا الضرب من التصرف بالألفاظ الدخيلة ، وأشتقاق الأفعال من الألفاظ

الفارسية ، نظائر سابقة على عصر المغول فقد أشتقوا من كلمة (الديوان) فعلَ دوّن ويدوِّن[1] ، ومن (البهرج) بهرجه ، ومن (النوروز) نَوْرَزَهُ ونيرزه ، وقالوا منورز ومنيرز ، ومن (البيطرة) بيطرَهُ ، وقالوا : « دنّر وجهه » وأصله من الدينار ، وأساطين مسطنة ، وقناطير مقنطره ، وتطلّس من الطيلسان ، وتقرطق من القرطق ، ودبّج من الديباج ، وتنخّذ من النواخذة ملاك سفن البحر ، أو وكلاؤهم ، معربة وهذا التصرف شائع في كثير من اللغات .

على أن هناك فرقاً بعيداً عند المعنيين بالبحوث اللغوية بين الدخيل قديمه وحديثه ، فان علماء اللغة يتحرجون من أستعمال اللفظ الأعجمي الحديث مالم تعربه العرب وما لم يصح إطلاق أسم المعرب لغوياً عليه ، ويذهبون إلى قصر أستعماله على الضرورة . وعلى هذا فإن كثيراً من هذه الألفاظ الدخيلة ومشتقاتها ، مثل كلمة دوشاخه ودوشخ و كنبوش وسربوش التي وردت في كتاب (الحوادث الجامعة) وأمثاله من تصانيف المتأخرين ، لايصح أستعمالها ، وحكمها يختلف عن حكم المعربات ومن رأينا وجوب تطبيق هذه القاعدة على كثير من المصطلحات الأعجمية الحديثة في مختلف العلوم والفنون ، كالطب والصيدلة والكيمياء والفلسفة ، وهي مصطلحات يدعو كثير ممن لا علم لهم باللغة والبحوث اللغوية الى أقتباسها على علاتها ، مخالفين في ذلك كل القواعد والأصول المتبعة في التعريب والأقتباس ولا يخفى أن العرب أشتقوا كثيراً من أسماء الأعيان ، وأجاز بعض العلماء المحدثين هذا الأشتقاق للضرورة في المواد العلمية ، وبعضهم يتوسع في أقيسة الأشتقاق المذكور .

---

(١) هذا على رأي بعض اللغويين القائلين إن كلمة (ديوان) فارسية معربة ، ومنهم الجواليقي في كتابه (المعرب) ، ونقلوه عن الأصمعي وأبي عبيدة ، ونقلوا عن الكسائي القول بأن هذه اللفظة مولدة . وذهب فريق من أئمة اللغة الى عربية هذه الكلمة ، ومنهم سيبويه في (الكتاب) وجاء في (شرح الفصيح) للمرزوقي : أن اللفظة عربية ، وليست معربة ، من (دونت الكلمة) اذا ضبطتها وقيدتها ؛ لأنها تضبط أحوال الناس ، وتدونها هذا ، وتطلق كلمة الديوان على الدفتر وعلى الكتاب ، وخصصت في عرف الأدباء بالمجاميع الشعرية أو الدواوين هذه بعض أقوال اللغويين المختلفة في أصل هذه الكلمة والمرجح ، فيما نرى ، أنها عربية ، لقدمها ، ووجودها قبل عصر التدوين ، أضف الى ذلك أن عدة من أئمة اللغة الفارسية لم يوردوها في معجماتهم ، ويجوز أن تكون من جملة المواد التي اتفقت فيها اللغتان العربية والفارسية ، مثل كلمة (زور) وغيرها من الكلمات

وما أحلى قول أبي مهدية الأعرابي :

يقولون لي : « شَنْبِذْ » ، ولست مشنبذاً طوالَ الليالي ما أقام (ثَبِيرُ)
ولا قائلاً : (زوداً) ، ليعجل صاحبي و « مستان » في قولٍ عليَّ كبيرُ
ولا تاركاً لحني لأتبعَ لحنهم ولو دار صرف الدهر حيث يدورُ

هذا ، ولأئمة اللغة بحوث في موضوع الاشتقاق من المعربات ، وهل يسري عليها حكم كلام العرب ؟ وجملة الجواب أن الألفاظ الأعجمية لايشتق منها ، وإن اشتق المولدون من بعضها كما مرّ وعلى كل فان الفرق ظاهر بين الألفاظ الأعجمية المعربة التي أضيفت إلى مادة اللغة العربية وفقاً للقواعد المتبعة في التعريب ، وبين هذه الألفاظ الأعجمية الشائعة في لهجة العراقيين بعد ذلك ، مأخوذةً عن المغولية أو الفارسية أو التركية كما سيجيء . ولا يخفى أن المُعَرَّب ورد في القرآن الكريم ، وفي الأثر النبوي ، وفي الشعر الجاهلي وشعر الطبقة الأولى من الإسلاميين ولا تعرف لغة استغنت إطلاقاً عن الاقتباس من لغة أخرى ، حتى أرقى اللغات . وقد حاول بعض المتحذلقين من اللغويين ردّ ما عرب بعد العصر الأموي ، ومنع الاحتجاج بأوضاع المولدين بعد المئة الأولى ، ولم يجوزوا الأخذ به ولكن الحاجة وضرورة الحياة قضت بخلاف ذلك فلما شرع المنصور والمأمون ومن تلاهما من خلفاء بني العباس في النقل عن اليونانية والسريانية والهندية والفارسية ، وضعوا مصطلحات عربية جديدة ، ولم يحجموا عن تعريب بعض المصطلحات الأعجمية التي لم يجدوا مناصاً من تعريبها ، وإن لم تكن كثيرة . وكانت المصطلحات العربية الجديدة أكثر منها ، وبذلك فتح هؤلاء النقلة باباً من التيسير والتسهيل ، وأدوا للغة العربية أجل الخدمات على شكل تفوقت فيه على جميع لغات الشعوب في العصور المذكورة وفي هذا العصر يتحتم على المعنيين بالبحوث اللغوية أن يحذوا في النقل والترجمة عن اللغات الأعجمية حذوَ النقلة الأولين من العرب ، وأن يفرضوا على أنفسهم التحفظ والاحتياط في فتح باب التعريب ، وأخذ الدخيل الحديث ، ولا نشاطر رأي من يرى خلاف ذلك . فالأعجمي والدخيل ، لايصح تقبله في عصرنا هذا إلا عند الاضطرار . أجل ،

إن الأولين عُنوا بوضع المصطلحات ، أو تعريب بعضها ، وبذلك أضيفت الى مادة اللغة مادة جديدة وعلينا أن نلاحظ الفروق الجسيمة بين عصورنا وعصور الأولين ، فان عصورهم كانت عصور المجد والسؤدد والغلبة ، وفيها طما سيل اللغة والآداب العربية ، وجرف ما جرف من لغات الأمم والشعوب وآدابها ، ومن ذلك السريانية والفارسية والنبطية وغيرها ، ولم يبق منها إلا غثاء كغثاء السيل أما في عصورنا الحديثة التي نعيش فيها ، وهي عصور التخلف والضعف مادياً ومعنوياً ، فهي عصور تميزت بتسرب الأساليب الأعجمية الى حملة الأقلام والمترسلين ، وطما فيها سيل المصطلحات الأجنبية على الألسنة ، وغرقت اللغة في أمواج من تلك الألفاظ الدخيلة على وجه جعلنا نشعر بالخطر الداهم على العربية من هذه الناحية ، لذلك لايجوز التسامح أو التهاون في فتح باب التعريب على مصراعيه ، ولا مناص لنا من التزام جانب التحفظ والاحتياط ، لأن الفرق جسيم بين حاضرنا وغابرنا من هذه الناحية .

وقد قيدنا جملة صالحة من تلك الألفاظ الشائعة في اللهجة العراقية ، وعنينا بالبحث عن تاريخ انتقالها من عصر المغول الى لهجة العراقيين هذا اليوم ، والمقارنة بين اللهجتين ومرجعنا في هذا البحث ، كما قلنا ، هو كتاب (الحوادث الجامعة) على الأكثر ، وان كان لهذه المفردات والأوضاع اللغوية والألفاظ الدخيلة والمولدة الآتية ذكر في بعض الكتب التاريخية التي أُلفت في عصر صاحب كتاب (الحوادث الجامعة) ، أو قريباً من عصره ، مثل مصنفات ابن النجار وابن الساعي ، وحتى كتاب الكامل لابن الأثير ، فإنه لا يخلو من تلك الألفاظ الدخيلة الأعجمية أو المولدة . ولكن تواريخ ابن الأثير وابن النجار وابن الساعي ، اقتصرت على استخدام الألفاظ والمصطلحات الشائعة في عصور الدولة العباسية ، وخصوصاً الأخيرة منها . ولنا أن نقول : إن جل ما صنفه العراقيون في التاريخ ، ومن ذلك كتاب تاريخ الوزراء للصابي وكتاب تجارب الأمم لمسكويه وكتاب المنتظم لابن الجوزي ، لا تخلو من أمثلة وشواهد على وجود لهجة عراقية خاصة ، ولهذا يحسن الرجوع الى ما صنفه هؤلاء المؤرخون العراقيون وطبقتهم في البحث عن هذا الموضوع ، وذلك فيما يخص لهجة العراقيين في العصور العباسية .

وهي لهجة تعتبر على كل حال سليمة بالنسبة الى اللهجة التي شاعت بعد قيام الدولة المغولية ، وتدمير الحضارة الإسلامية ، وغلبة الدول الأعجمية . وهذه اللهجة الثانية هي أصل اللهجة العراقية الشائعة الآن وقد شاعت هذه اللهجة بعد ذلك ، ومرنت عليها الألسنة في المئتين التاسعة والعاشرة ، وبهذه اللهجة العامية تقريباً أُلفت بعض الكتب التي يصح الرجوع اليها في هذا الموضوع ، ومن جملتها مخطوطة تاريخية عراقية تسمى (تاريخ الغياثي) ، ويعد مؤلفها من أبناء أواخر المئة التاسعة

لهجة العراقيين في عصر الغياثي (١) :

يمثل كتاب الغياثي دوراً من أدوار الانتقال في تاريخ اللهجة العراقية ، أو العامية

---

(١) (تاريخ الغياثي) : من تأليف عبد الله بن فتح الله البغدادي ، الملقب بالغياثي ، من أبناء أواخر المئة التاسعة منه عدة نسخ في العراق ، اعتمدنا منها نسخة مكتبة دار الآثار القديمة والغياثي مؤلفه متأدب، فارسي النجار على الأكثر ، معني بالتأليف في التأريخ . ومن مآخذه (سيرة جلال الدين منكبرتي) للنسوي ، وكتاب (جامع التواريخ) ، و (تاريخ غازاني) لرشيد الدين الطبيب ، و (نظام التواريخ) للقاضي ناصر الدين البيضاوي ويحسن مقابلة بعض فصول تاريخ الغياثي بالنصوص الواردة في مآخذه المذكورة ، وقد جاء في مقدمة الكتاب ما يأتي : « انه بسبب كثرة الفتن ، وتواتر المحن التي جرت بأرض العرب ، لم يضبط أحد تواريخها ، من دور الشيخ حسين الى يومنا هذا ، أولا من عدم أهل العلم ومن ينظر فيه ، ثانياً إن أكثرها تواريخ ظلم وعدوان ، تركها خير من ذكرها ؛ لأن هذا الدور الذي نحن فيه يسمى دور الإدبار ، وقد ابتدأ من حدود سنة ٦١٦ قرب انقراض دولة العرب وابتداء دولة الترك ، والحالة هذه ، لا يوجد عام إلا أنحس من العام الماضي ، وخطر لي أن أكتب هذه الأوراق لبعض ما جرى في زماننا بأرض العراق »

هذا ما جاء في مقدمة تاريخ الغياثي بعبارته ، والظاهر أنه يعتبر ظهور قبائل المغول وزحفها على الشرق مبدأ دور الادبار في التاريخ ، والمؤرخ إما أن يكون فارسياً وهو الأرجح ، أو عراقياً اندمج في بيأة أعجمية خلال المئة التاسعة ، وفي هذه الفترة ضعفت اللغة العربية وآدابها في العراق ، وزاحمتها اللغات الأعجمية ، فلا عجب اذا رأينا الغياثي يحسن الفارسية ، ويكثر من ايراد الشواهد فيها نظماً ونثراً ، ولايحسن اللغة العربية ومن المضحك في هذا الباب ، ما جاء في عنوان الفصل الرابع ، وهو قوله : « ذكر ملوك الإسلام الذين كانوا حكاماً في دولة بني العباس في ايران زمين » يعني المملكة الايرانية ، واليك أمثلة من لهجة المؤلف كما جاءت في هذا الكتاب ، يستفاد منها ما كانت عليه اللهجة العراقية في المئتين التاسعة والعاشرة :

١ — (كسر العهد والميثاق) يعني نقض
٢ — (صفا معهم من العسكر قريب ثلاثة آلاف فارس) يعني بقي معهم
٣ — (توقف في تبريز تلك الصيفية)

الحديثة التي شاعت في عصر المغول في العراق ففي هذا الدور — وهو الدور الذي أنحلّت فيه الدولة الايلخانية ، وتمكن خلاله الشقاق والانقسام بين قبائل المغول ، وظهرت ملوك الطوائف وحكام المشائر وأمراء الأطراف من المغول ، وهو الدور الذي يبدأ بعصر الجلائريين بعد موت السلطان أبي سعيد بن خربنده وعصر الطاغية الغازي تيمورلنك ، وينتهي بظهور دولة الأتراك العثمانيين وأستيلائهم على هذه البلاد وتعاقب الدولتين الصفوية والعثمانية التركية على الغلبة فيها — نقول : في هذا الدور أستعملت أحياناً في التأليف ، لهجة شاع فيها اللحن والخروج عن قواعد العربية في الكتابة ، وأهمل الإعراب ، وأسقطت الحركات ، وحل الوقف محل الإعراب في أواخر الكلم حتى في الكتابة

قلنا فيما مرّ إن سقوط الإعراب من أواخر الكلم كما نراه في تاريخ الغياثي أحياناً غير قليلة ، هو القدر الجامع الذي أتفقت فيه اللهجات العربية الشائعة أو اللهجات العامية . وهوأعني سقوط الاعراب من أواخر الكلم موضوع لغوي تضاربت فيه الآراء من حيث أنه حادث أو قديم . وقد عقد أبو البقاء في(كلّياته) فصلاً في هذا الموضوع قال فيه : « فإن قيل : الكلام المنطوق الذي يعرف الآن ما بيننا هل العرب نطقت به زماناً غير معرب ، ثم أدخلت عليه الإعراب ، أم هكذا نطقت به في أول تبلبل ألسنها ؟ قلنا : هكذا نطقت به في أول وهلة ؛ لأن للأشياء مراتب في التقديم والتأخير إما بالتفاضل أو بالاستحقاق أو بالطبع أو على حسب ما توجبه المعقول .

= ٤ — (أعطاهم أجرتهم بالزائد)
٥ — (استصحب مالا كثيراً بالخفية)
٦ — (والتصور الذي تصوره لم يكن حسب المراد)
٧ — (عزل من العسكر أجاويده) ويقصده خياره
٨ — قال في المراسلة بين تيمور والسلطان أحمد ما يأتي : (والبيشكشات والنقودات) ، والبيشكشات كلمة فارسية ، تعني الهدايا
٩ — (كان أكثر أوقاته مشغول باللهو والطرب والعيش والعشرة)
١٠ — (لزموا عليهم الطريق)
١١ — (كانت مصر والشام مخبوصة)
١٢ — (أخرج اليهم النقود والأقمشة والرخوت من خزانته والخيول والأجناس)

إذا عرفت هذا فنقول : الإعراب في الاُستحقاق داخل على الكلام ، لما توجبه مرتبة كل واحد منهما في المعقول ، وإن كانا لم يوجدا مفترقين ؛ لأنا قد نرى الكلام في حال غير معرب ولا يختل معناه ، ونرى الإعراب يدخل عليه ويخرج ومعناه غير معدوم (كذا) . فالكلام إذن سابق في الرتبة ، والإعراب الذي لا تعقل أكثر المعاني إلّا به تابع من توابعه . والحاصل أن الكلام المعرب لما كان قائماً بنفسه من غير إعراب بخلاف الإعراب ، صار المعرب كالمحل له والإعراب كالعرَض فيه ، فكما يلزم تقديم المحل على الحال كذلك يلزم تقديم المعرب على الإعراب . قال بعضهم : والصحيح أن الاعراب زائد على ماهية الكلمة [1] »

وفي هذا الكتاب ـ أعني تاريخ الغياثي ـ شواهد غير قليلة على إهمال الإعراب ، ومن ذلك قوله (كان تيمور واقف ينظر الى جلالته) والواقع أن هناك فرقاً بعيداً بين (الحوادث الجامعة) و (تاريخ الغياثي) ، ففي تاريخ الغياثي لحن وشذوذ عن الأصول ، وكتاب الحوادث الجامعة لا لحن فيه ، ولكنه يشتمل على ألفاظ دخيلة وأساليب أعجمية أو مولدة في عصر مؤلف هذا الكتاب وسترى أن أسلوب مؤلف تاريخ الغياثي أسلوب أعجمي منحطّ ، يعتمد على كثير من المفردات والتراكيب والأساليب الأعجمية أو الفارسية ، وهو من الأساليب الشائعة الى الآن في بعض البلاد المتأخرة ، ويستثنى من ذلك ما نقله الغياثي عن كتب المؤرخين السابقين ، وتكثر الشواهد الشعرية الفارسية في الكتاب [2] ، وأسلوب المؤلف خليط من اللهجة العامية العراقية والفارسية ولنا أن نقول : إن طريقة الغياثي في تاريخه تمثل الأسلوب الإنشائي العامي المشوب بالعجمة الذي شاع في العراق إذ ذاك .

هذا ، وقد جعلنا عنوان هذه الرسالة « أصول ألفاظ اللهجة العراقية » ، ونظمنا معجماً في الألفاظ الواردة فيها ، وهذا أوان الشروع بالمقصود :

---

(١) مادة (الإعراب) من كليات أبي البقاء

(٢) أنظر الصفحات الآتية من أرقام مخطوطة مكتبة مديرية الآثار القديمة (١٠٦ ، ١٧٥ ، ١٨٥ ، ١٩٣ ، ٢٠٨ ، ٢١٢) .

معجم الألفاظ العراقية

(ا)

١ — (الإدارة والمدير) : أدار الشيء : أماله ، وفاعله المدير . هذا هو معنى الكلمة في لغة العرب ومنذ عصر المغول تحول مدلول هذه الكلمة ، فأطلقت على تصريف الأعمال وتدبيرها ، وأطلقت كلمة المدير على المتصرف ، وشاع أستعمالها بهذا المعنى في عصور الأتراك والعصور الحديثة قال أبن الفوطي في ترجمة أحد الملقبين فخر الدين [1] : « كان عارفاً بأمور القضاء والعدالة ورسوم الإدارة والوكالة »

ثم جاءت من كلمة ادارة (مديرية) و (مجلس ادارة) و (مدير) وفي نسخة (نشوار المحاضرة) للتنوخي : « كان فلان يدير الولاية » ، ويغلب على ظننا أن كلمة يدير في هذه النسخة محرفة عن (يدبر) من التدبير

٢ — (الأسباب ـ بمعنى الأمتعة) : السبب في أصل اللغة الحبل والسلم والصلة والعلاقة من قرابة أو نحوها ، والجمع أسباب هذا هو مدلول كلمة السبب والأسباب في الأصل ، ولكن هذه الكلمة في لهجة العراقيين الشائعة اليوم تعني الأثاث والمتاع وآلة المنزل ، فتراهم يقولون « باع أسبابه » أي أثاثه ومتاع بيته وليس أستعمال لفظة الأسباب بهذا المعنى حديثاً ، بل هو قديم في لهجة الآباء والأجداد جاء في (الحوادث الجامعة) في مَعْرِض شرح نكبة علاء الدين الجُوَيْني : « وبيع من أملاكه وأسبابه جملة طائلة [2] » وتكررت هذه العبارة في الكتاب المذكور [4] ويعبرون عن المتاع والأثاث بكلمة (رحل) فيقولون : نقل فلان رحله ، إشارة الى أثاثه وآلاته . وفي جواز أستعمال هذه الكلمة بهذا المعنى أوعدمه ، نقاش بين اللغويين ، ومن القائلين بمنعه الحريري في (الدرة) [3] ، وأدعى أن هذا الأستعمال وهم يباين المقصود به في لغة العرب ، إذ ليس من أجناس الآلات ما يسمونه رحلاً إلّا سرج البعير ، وإنما رحل الرجل منزله بدليل قوله عليه الصلاة والسلام : « اذا أبتلّت النعال ، فالصلاة في

---

(١) مجمع الآداب (٤/ مادة فخر الدين) ، واللباب (٥٦)

(٢) الحوادث الجامعة (٤١٦) (٣) أنظر (٤١٨) (٤) درة الغواص (٥٢)

الرحال » أي صلّوا في منازلكم عند أبتلال أحذيتكم من المطر هذا ما قاله الحريري ، ولم يرتضه الخفاجي في شرحه على الدرة قائلاً : إن الرحل المنزل ومتاع الرجل وما يستصحبه من الأثاث كما في الصحاح ، وعليه قول متمم بن نويرة :

كريم الثنا حلو الشمائل ماجد صبور على الضرّاء مشترك الرحل

ومن شعر عبد المطلب

لا هُمَّ ، إنّ المرءَ يمـ نع رحله ، فأمنع رحالَكْ

قال أبن هشام في (تذكرته) ، ومن خطه نقلت : رحل الرجل : متاعه ، وقد فسر الرحل في قوله تعالى : « فمن وجد في رحله » بالأثاث بدليل قوله : « ثم أستخرجها من وعاء أخيه » ، وهو في الأستعمال أكثر من أن يذكر .

وفي (كليات أبي البقاء) : « الأثاث : ما يكتسيه المرء ويستعمله في الغطاء . والوطاء : ما يفرش في المنازل ويزين بـه وقيل : الأثاث ماجدّ من متاع البيت ، والخرثي : ما رثَ . وذكر بعضهم أن المتاع من متع النهار إذا طال وقال أبن الأثير : المتاع لغة كل ما ينتفع بـه من عروض الدنيا قليلها وكثيرها ، وعرفاً كل ما يلبس ويبسط »

٣ — (انكسار الدراهم) : عبارة يراد منها هبوط سعر النقد في العصر المذكور . جاء في (الحوادث الجامعة) : « لقوا شدة من الغلاء وكسر الدراهم » (١)

٤ — (الإنهاء ـ بمعنى العريضة) : هو أصطلاحٌ عرف أواخر العصور العباسية وأوائل عصور المغول والإنهـاء : هو الإبلاغ في أصل اللغة ، مصدر أنهى الشيء ، أي أبلغه . ولكنهم جعلوه أسماً على ما يُعْرَض وينهى الى المقامات العليا في الدولة . وقد تصرفوا بهـذه الكلمة كما تصرفوا في كلمة (تقدُّم) ، وهي مصدر من (تقدَّم) ، فقالوا : « ورد تقـدُّم الى علاء الدين صاحب الديوان (٢) » أي أمر قال صاحب (الحوادث الجامعة) (٣) : « فجلس به — أي في الديوان — وكتب إنهاءً على جاري العادة » . فالمقصود بالإنهاء هنا (الأستدعاء)

---

(١) الحوادث الجامعة (٤٤٧) (٢) المصدر المذكور (٣٩٨) .
(٣) المصدر المذكور (٢٠٢) .

أو (عريضة) رفع الى الخليفة ، مصدرةً بكلمة (ينهى) بعد الثناء والدعاء . ويقابل كلمة (إنهاء) كلمة (رفيعة) و (رَفْـع) بصيغة المصدر بهذا المعنى ففي أخبار سـنة ٦٥٧ هـ من (الحوادث الجامعة) : « رفع نجم الدين بن عمران على ابن الدامغاني ، ونسب اليـه »[1] وفي عصور الطبقة الأولى من العباسيين شاع أسـتعمال لفظة (القصة) بهذا المعنى ، فكانوا يقولون : « رفعت الى الخليفـة ، أو الى الوزير (قصة) يذكر فيهـا من أمره كيت وكيت » ويراد بكلمة (القصة) هنا ما نريده بكلمة (إنهاء) أو (أستدعاء) بعد ذلك وأصل معنى القصـة ، الحديث والخبر ، وقـد تستعمل كلمة (الرقعة) ، وتجمع على (رقاع) بالمعنى المذكور ومن ذلك قولهم : « خذ رقاع الناس للحوائج ، وأستجعل عليها » يعني بكلمة رقاعهم أسـتدعاءاتهم وتعني كلمة (استجعل) أخذ الجعل ، أي الأجرة ومن الألفاظ التي شاع أستعمالها فى العصر العباسي الأول والأوسط بهذا المعنى كلمة (رفيعة) ، وتجمع على رفائع ، بمعنى القصة والبلاغ ورفع الشكوى جاء في (كتاب الأوراق) للصولي في أخبار سنة ٣٢٨ ما يأتي : « وكثرت الرفائع الى (بجكم) من ظلم أصحابه[1] » . وفي (كتاب الوزراء والـكتاب) : « أحضر رزام كتاباً يوهم أن فيه رفائع على محمد بن خالد » ، وفي الـكتاب المذكور أيضاً : « أمرني أن أرفع على محمد بن خالد[2] » . وأسـتعمل (الرفع) بصيغة المصدر أسماً لعريضة الشـكوى بعد ذلك ، فقـد جاء في (رحلة أبن بطوطـة) : « إن أخذ الحاجب الأول الرفع من الشاكي ، فحسن[3] » . وقال أيضاً : « كتب رفعاً ، وهم يسمونه (عرض داشت)[4] » . هذا ما ورد في رحلة أبن بطوطة وعبارة (عرض داشت) ، تعني كلمة (عرض حال) الشائعـة في لهجة العراقيين هذا اليوم . وفي مصطلحـات المنشئين وأصحاب الدواوين بهذا المعنى ، كلمـة (مشروح) ، وتجمع على مشاريح . وقد وردت في (ذيل كتاب تجـارب الأمم)[5] ، وفي أخبار سـنة ٥٩٠ من (تأريخ الدبيثي) : « كتب بذلك مشروح ، وضع فيه الحاضرون من

(١) كتاب الأوراق (٣٣٩/١٠) (٢) الوزراء والـكتاب للجهشياري (١٣٨)
(٣) رحلة ابن بطوطة ط النيل (٥١//٢) (٤) المصدر المذكور (٨١/٢)
(٥) تجارب الأمم (٢٦)

أرباب الدولة والفقهاء والعدول خطوطهم » . وفي (نهاية الأرب) : « نظم بذلك مشروح ، وسير الى الأبواب السلطانية » وجمعوا المشروح على مشاريع ، قال المقريزي : « رسم لها كشفها ، ونظم المشاريع [1] » ، وقال أيضاً : « وأصدروا الى الديوان المشاريع بما كشفوا » والظاهر من سياق كلام المقريزي والنُّوَيري وغيرهما أن كلمة المشاريع تعني ما يراد بكلمة (تقارير) الشائعة في الوقت الحاضر على لسان أصحاب الدواوين ، ولا تعرف غيرها في لهجة العراقيين بهذا المعنى وقد قامت مقام كلمة (راپور) الفرنسية التي كانت معروفة في لهجة العراقيين في أواخر عصور الدولة العثمانية أما وقد أجاز الكتاب والمنشئون المتأخرون أشتقاق كلمة (مشروح) من مادة شرح ، وجمعوها على مشاريع ، فلماذا لا يجوز أستعمال كلمة (مشروع) بمعناها الأصطلاحي المعروف ، وهو يجمع على مشاريع ؟ هذا ، وقد شاع عند أصحاب الدواوين وفي لغة الصحفيين أستعمال كلمة (مذكرة) بمعنى مشروح أو تقرير ، غير أن كلمة المذكرة خصصت في الغالب بشرح الأمور السياسية اذا كانت منطوية على ضرب من الأحتجاج والأستنكار هذا ، ولا يخفى أن (التقرير) في أصطلاح العلماء والفقهاء المتأخرين يعني إعادة درس الأستاذ ، و (المقرر) هو (المعيد) ، أو أن كلمة التقرير تعني بيان المعنى باللفظ ، والتحرير بالكتابة قال الشريف الجرجاني في (التعريفات) : « الفرق بين التحرير والتقرير أن التحرير بيان المعنى بالكتابة ، والتقرير بيان المعنى بالعبارة » والواقع أن كلمة الرفيعة والتقرير والبلاغ والقصة ، يعنى بها عدة معانٍ مختلفة تدل عليها القرائن وسياق الكلام ؛ فقد تستعمل كلمة رفعة ورفيعة وتقرير وبلاغ في حالة التظلم ورفع الشكوى ، وقد تستعمل في حالة رفع الوشايات والأخبار الى الجهات السلطانية ، وقد تستعمل بمعانٍ أخرى .

٥ — (الأوردو — بمعنى المعسكر أو المخيم أو الجيش) : كلمة تركية ، وقيل مغولية ، شاع أستعمالها في العصور المغولية ، وما زالت شائعة في اللهجات التركية الى الآن . وقد أكثر مؤلف (الحوادث الجامعة) من أستخدام هذه الكلمة التركية بمعنى المعسكر ، ويستفاد منها أنها

---

(١) الخطط (١/١٣٧)

تغلبت على ما يقابلها من الألفاظ العربية ، كالمخيم والمسكر ، في عصر المغول ، إلّا نادراً وكان مقر الجيش المغولي الأصلي في الدولة الايلخانية في أذربيجـان ، وكنت لا تسمع ولا تقرأ في الـكتب والرسائل وفي المخاطبات إلّا قولهم (ذهب الى الأوردو) ، أو (جاء من الأوردو) ، أو (رأيته في الأوردو) وقد ينعت الأوردو بكلمة الأشرف أو المعظم وفي (كتاب الحوادث الجامعة) لم تستعمل كلمة المعسكر مكان كلمة الأوردو . وفي (تلخيص مجمع الآداب) لأبن الفوطي أُستخدمت كلمة (المخيم السلطاني) مكان تلك الـكلمة التركية ، أو المغولية جاء في (الحوادث الجامعة) : « وصل من طلبه الى الأوردو المعظم للمقابلة [١] » ، وجاء أيضاً : « وأقام سـعد الدولة في الأوردو المعظم [٢] » ، وقال : « حملوا الى الأوردو المعظم ، فأمر بقتلهم [٣] » ومن المفيد أن نشير الى آراء بعض اللغويين القدماء في أصل لفظة (عسكر) أو (معسـكر) حيث قالوا إن (عسكر) معرب ، وإن أصله (لشـكر) بالفارسـية ، وهو مجمع الجيش وبعضهم يقول إن أصل الـكلمة من السريانية وبعضهم يرى أنها بابلية ومن رأينا أن هذا تـكلف ، فكثيراً ما أتـفقت اللغات في موادّ بعض الألفاظ والـكلمات . ويقول اللغويون إن العربيـة والفارسية أتفقتا في كلمة (زور) بمعنى القوة ، وكلمة (ديوان) ، وكلمة (سارة) ، الى غير ذلك من الـكلمات التي أتفقت فيها اللغتان وقـد أحصى المعنيّـون بالبحث القارن بين اللغات ألفاظاً غير قليلة أتفقت فيها العربيـــة مع السريانية ، أو العبرية ، أو الآرامية ، أو الأمهرية لغة الحبشة ، أو غير ذلك من اللغات السامية ولا عجب أن تتفق اللغات السامية المذكورة في بعض موادها ، فإنها — أعني اللغات السامية — مشتقة من أصل واحد ، أو هي بنات أم واحـدة لم يتفقوا على تعيينها الى الآن ولا مانع أن تتوارد بعض اللغات السـامية مع الآرية الهنديـــة في بعض المواد ، فان ذلك من قبيل توارد الخواطر ، وتواردُ الخواطر ليس بعجيب . ومن رأينا أن تطبق هذه القاعدة في كثير من الألفاظ اللغوية التي يزعمون أنها معربة

(١) الحوادث الجامعة (٣٩٨)

(٢) المصدر المذكور (٤٥٠) ، وانظر الصفحات التالية من الـكتاب (٤٣٠ ، ٤٦٠ ، ٤٩٥) .

(٣) المصدر المذكور (٤٤٨)

عن بعض اللغات الأعجمية ثم ، لماذا لا نقول إن كلمة (لشكر) الفارسية بمعنى الجيش مأخوذة من كلمة (عسكر) العربية على خلاف ما يراه بعض اللغويين ، أو هي من الكلمات التي تقاربت فيها اللغتان ؟ هذا ، وما يقال في كلمة عسكر ، يقال في كلمة (ناموس) التي زعم بعض المتكلفين أنها سريانية أو يونانية ، لمجرد أنها ختمت بحرف السين ولهذا الضرب من التكلف في رد الألفاظ الى أصول أعجمية أمثال غير قليلة وخلاصة القول : لقد أسرف بعض المتحذلقين من المعنيين بالبحوث اللغوية في الاستعجام ، حتى قال بعضهم : إن (هيتَ لك) قبطية الأصل أو عبرية بمعنى (تعال) ، مع أنها من أخوات (هيا هيْ) وغيرهما من ألفاظ التنبيه ، وهي أوضاع طبيعية مصطلح عليها في جملة من اللغات . ومن السخف قول من قال إن (رحمن . رحيم) معرب . هذا ، ويكثر ورود لفظة (الأوردو) في الكتب التأريخية التي ألفت في عصر المغول بالفارسية والعربية ، ومن ذلك مؤلفات رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير مؤلف كتاب (تأريخ مبارك غازاني) [1] و (جامع التواريخ) وغير ذلك . وقد سميت اللغة الهندية المعروفة (أوردو) ؛ لأنها ـ على ما يقول بعض الباحثين في أصلها ـ من لغات الفرس والأتراك والهنود الذين كانوا يعيشون جنباً الى جنب في معسكر السلطان محمود الغزنوي في الديار الهندية .

٦ — (الايلچية) : لفظ تركي الأصل ، ومفرده (إيلچي) ، ويرجع استعمال كلمة الايلچي في العراق وفي الأقطار الخاضعة لحكم المغول الى المئتين الثامنة والتاسعة وما بعد ذلك ، قال مؤلف (الحوادث الجامعة) ، وهو يؤرخ موت السلطان : « توفي في ذي الحجة ، فسارت الايلچية الى أبيه تخبره بذلك ، ثم سارت الإيلچية الى أخيه منكوتمر بالخبر ، فصادفوا إيلچية من أصحابه [2] » ، وقال أيضاً : « وأرسلوا الى بغداد أيلچية للقبض على الأمير علي [3] » . فاستعملت هذه الكلمة التركية هنا مرة بمعنى سعاة البريد السريع ، وتارة بمعنى السفراء

(١) أنظر الصفحات (١٧ ، ٢٨ ، ١٦٤ ، ٣٢٦) من هذا الكتاب ط انكلترة سنة ١٣٥٨هـ (١٩٤٠م)

(٢) الحوادث الجامعة (٤١٦) (٣) الحوادث الجامعة (٤١٧) .

والمبعوثين وجاء في (الحوادث) أيضاً: «وكان نوروز في الروم، فسارت الايلچية اليه، فقتل هناك[1]» وكانت هذه الكلمة مستعملة في اللهجة التركية على عهد الدولة العثمانية بمعنى (القائم بالأعمال)، أو ممثل دولة ما، أو مبعوث من قبلها وتجمع بالفارسية على (ايلچيان)، وتضاف الى كلمات أخرى من التركية والمغولية والفارسية، فيقولون (ايلچي خانه) و (ايلچي بارالتوه)، وكثر استعمالها مثل كلمة (أوردو) في الكتب الفارسية المصنفة في عصر المغول[2].

(ب)

٧ — (الپايزه): بالپاء الفارسية: لفظة مغولية أو تركية، ويجمعونها على (بوايز) باللهجة العربية، و (پايزها) بالفارسية ومعنى بايزه أمر سلطاني أوفرمان. جاء في (الحوادث الجامعة): «أمر أن يحضر الى الديوان كل من معه فرمان وبايزه[3]» ويكثر ورود هذه الألفاظ الأعجمية في الكتب المعنية بتأريخ المغول وقد جاء في (مختصر تأريخ الدول) لابن العبري: «وكان قد وصل اليه في خدمة قاءان اليرليغ والبوايز[4]» ويقال إن البايزه عبارة عن قطعة أو لوح من مَعْدِن أو ذهب مرسوم على أحد وجهيه رأس سبع، وكانت تمنح لكبار رجال الدولة عند المغول وللسماة المكلفين بحمل الرسائل الرسمية[5]

٨ — (بز النهر): بمعنى مؤخره، كلمة فصيحة، غير أنها مهجورة في الأقطار المأهولة بالعرب، ما عدا العراق. فمن الكلمات الشائعة الآن في لهجة العراقيين، وخصوصاً في أرياف العراق، كلمة (بزّ النهر)، ويعنون بها مصب النهر، أو مؤخره وهي من الكلمات التي كانت شائعة في لهجة أجدادهم في المئتين السابعة والثامنة ولهذه الكلمة ذكر في واقعة بغداد، ففي (كتاب الحوادث الجامعة): «أدركه الليل وقد تجاوز نهر بشير ببزّ دُجَيْل»[6]

(١) الحوادث الجامعة (٤٦٢، ٤٦٤)

(٢) أنظر الصفحات الآتية من كتاب (تأريخ مبارك غازاني) ط. انكلترة سنة ١٣٥٨ هـ (= ١٩٤٠م): (٢٤٣ — ٢٤٥، ٢٤٨ — ٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٧٠ — ٢٧٧، ٢٨٢، ٢٩٥ — ٢٩٧، ٣١٧، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٦ ه ٣٣٩، ٣٤٥، ٣٥٦ — ٣٥٨، ٣٦٠)

(٣) الحوادث الجامعه (٤٥٤)

(٤) مختصر تأريخ الدول (٤٨٣)

(٥) أنظر الصفحات الآتية من تأريخ مبارك غازاني (٨١، ١٦٣، ٢٧١، ٢٩١، ٢٩٧—٣٠٠)

(٦) حوادث سنة ٦٥٦هـ من الكتاب

ويرادفها من الفصيح (ذنابة) أو (مذانب) قال غياث الدين عبد الكريم بن طاووس : « والذي بنى مشهد الكرخ سباهي الحاجب مولى شرف الدولة ، وبنى قنطرة الياسرية ، ووقف دباهي على المارستان ، وسدّ بثق الخالص ، وجرّ ذنابة دجيل [1] »

هذا ، ومن معاني البز في أصل اللغة الثياب ومتاع البيت ونحوها ، وبائعه (البزاز) ، وحرفته (البزازة) ، و (البزة) بالكسر الهيأة

٩ — (بطل) : بطَلَ الأجير (بالتخفيف) : تعطل ، ولا يشدد الا في لهجة عراقية ظهرت في عصر المغول جاء في (الحوادث الجامعة) : « وبطّل الناس من معايشهم وأشغالهم بسبب ذلك [2] » ، أي تعطلوا ، ويقال في الفصيح : تبطّل بالتشديد ، أي صار بطلاً ، وجمعه أبطال

١٠ — (البقايا) : يراد بها في مصطلح الديوان مبلغ من الضرائب متخلف في ذمة المكلفين وهي معروفة الى الآن في بعض المصالح الحكومية في العراق . ويظهر أن الأتراك نقلوها ، فيما نقلوها من المصطلحات ، عن عصر المغول وجاء في (الحوادث الجامعة) : « طولب بالبقايا وشدد عليه [3] » هذا في العراق ، أما في مصر فقد أصطلحوا على أستعمال لفظة (البواقي) بمعنى البقايا وكان هذا المصطلح ـ أعني البواقي ـ يطلق على ما يتأخر كل سنة عند الضمان والمتقبلين من مال الخراج [4] جاء في (السلوك) : « وسامح ما تأخر من البواقي بأرض مصر والشام [5] » ، وجاء أيضاً : « ورسم السلطان لاچين في غزة بمسامحة أهل مصر والشام بالبواقي [6] »

١١ — (بقيار) ـ بفتح الأول ـ : لفظة فارسية على الأكثر ، وتجمع على بقايير ، ثوب أو نسيج من الوبر أو من مادة أخرى منه ، وهو من خلع الملوك ، وقد يتخذ منه عمائم . والغالب أنه النسيج الذي يسمى الآن (بَرَك) في بلاد فارس وردت أكثر من مرة في (كتاب

(١) فرحة الغري ط النجف ، الثانية (١٣) .
(٢) الحوادث الجامعة (٤٠٥) .
(٣) الحوادث الجامعة (٣٤٩)
(٤) المواعظ والاعتبار للمقريزي (١/٨٢)
(٥) كتاب السلوك (١/ق٣/٧٥٩)
(٦) المصدر المذكور (٨٢٢) .

الحوادث الجامعة) وفي تواريخ المتأخرين من طبقة شيوخ مؤلفه كابن الساعي . ففي أخبار سنة ٦٣١ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « خلع على الفقهاء قمصان دمياطي وبقايير قصب » ، وفي أخبار سنة ٦٣٢ : « ختم الأمير أبو أحمد عبد الله ولد الخليفة المستنصر بالله القرآنَ المَجيدَ على مؤدبه العدل أبي المظفر علي بن النيار ، وأحضر له خلعة قميص أطلس وبقيار قصب عمربي ، فامتنع من لبسه تورّعاً ، لِما ورد في ذلك من النص الدال على التحريم ، وأحضر له قميص مصمت غزلي وبقيار قصب بحرير [1] » ، وفي أخبار سنة ٦٤٣ : « خلع عليه في دار الوزارة قميص (مصمت) أبيض وبقيار قصب (مسكّن) ، وخوطب بشيخ الشيوخ [2] » ، وفي حوادث سنة ٦٠١ من (الجامع المختصر) لابن الساعي : « خلع عليه قميص أبيض (نفطي) وبقيار [3] » ويستفاد من ذلك أن البقيار نوع من العمائم الكبار يلبسها الوزراء ورجال الديوان ، ويلبسها أيضاً الأئمة والفقهاء . ولا تعرف هذه اللفظة الآن في اللهجة العراقية ، ولا في اللهجات الأعجمية الحديثة .

١٢ — (بكش) : فارسية ، بمعنى أقتل جاء في أخبار سنة ٦٤٩ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « فيها وصل الشيخ محمد بن الداية الواعظ الى بغداد من تستر ، وقال : إن الله أمرني أن أستنجد جماعة ، وألقى عساكر المغول فقال له الوزير : أفي المنام قيل لك ذلك ؟ قال : لا ووقع لي أنني اذا لقيتهم لا أبالغ في القتل ، فقال لي الله تعالى : (بكش) ، ومعناه بالعربية أقتل [4] »

(البند) : كلمة فارسية ، لها في اللغة المذكورة معانٍ عدة ، فتارةً يعنى بها العَلَمُ الكبير ، وهي بهذا المعنى من الكلمات المعربة ، وتجمع على (بنود) وتستعمل هذه الكلمة في اللغة الفارسية بمعنى الرباط ، أو الحزام ، أو الضابط ، أو الغلق ويقول بعض المعنيين بالبحوث اللغوية المقارنة : إن هذه الكلمة معروفة في جملة من اللغات الشرقية والغربية ، فمن

---

(١) الحوادث الجامعة (٧١)
(٢) المصدر المذكور (٢٨٥)
(٣) الجامع المختصر (١٤٤/٨)
(٤) الحوادث الجامعة (٢٥٩ ـ ٢٦٠)

الأولى الفارسية والتركية والكردية والسريانية والسنسكريتية ، ومن الثانية الجرمانية وقد أستعملت هذه الكلمة وحدها تارةً ، ومركبةً مع كلمة فارسية أخرى فقالوا (دربند) ، ويعنون بذلك المضيق أو السد أو الغلق وما الى ذلك . وفي أخبار سنة ٦٧٩ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « فيها أمر علاء الدين صاحب الديوان بعمل جسر ، وحمله الى تستر مكملاً بسلاسله وآلاته ، فنصب تحت البند عند دروازة دزفول [١] » . فالبند هنا منطقة معينة من المدينة المذكورة هذا ، ولا أثر لهذه الكلمة في اللهجة العراقية الآن ، وإنما يقولون (بند) لفاصلة ، أو فقرة قائمة بنفسها من قانون أو نظام ما ، أو بحث ما ، وما الى ذلك . وأطلقت هذه الكلمة على نوع من الزجل ، أو الشعر ، له عروض خاص ، عرف عند المتأخرين من المتأدبين وفي اللغة الفارسية تدخل هذه اللفظة في تركيب كلمات كثيرة ، من ذلك (بازبند) ، أي العوذة التي ربط على العضد ، و (گلبند) لرباط ما يلبس على الرأس من سرابيش وطاقيات ونوع من العمائم جاء في (كتاب السلوك) للمقريزي : « رتب له في كل شهر كلوتتين [٢] زركش ، قيمة كل منها مبلغ خمسين ديناراً عيناً ، وقيمة (گلبندها) ، مبلغ أربعين ديناراً [٣] » ويستفاد من سياق هذه العبارة أن (الگلبند) عبارة عن رباط يربط به غطاء الرأس و (الدست بند) كلمة مركبة من : (دست) بمعنى اليد ، و (بند) بمعنى الرباط ، وهي أداة من جلد ، وخشبة يربط بها البازي على اليد ، ويقال له (الدستبان) قال كشاجم :

---

(١) الحوادث الجامعة (٤١٣)

(٢) الكلوتة : غطاء للرأس يلبس بعمامة ، أو وحده ، وتجمع على (كاوتات) وكلاوات وتسمى أيضاً : (كلفته) وقد شاعت هذه اللفظة في عصور الأيوبيين والمماليك بعد ذلك في مصر والشام ، ويقال إن الأيوبيين هم الذين استحدثوا (الكلوتة) بمصر وكانت على أنواع من الجوخ الأصفر، يلبسونها بغير عمائم غالباً ، وذوائبهم سرخاة تحتها وقد حذا حذوهم الأمراء والجند والمماليك ، وما زالوا على ذلك الى أواسط دولة المماليك البحرية ثم غيروا هذا الزي ، وأضافوا لباس الشاش على الكلوتة ثم اختص المماليك بالكلوتات المذهبة ، وتركوا الكلوتات المتخذة من الجوخ الأصفر لمن دونهم ثم تنوعت هذه الكلوتات والعمائم في عصور المماليك المتأخرين والجراكسة من بعدهم أنظر المواعظ والاعتبار للمقريزي (٢/٩٨) وهامش السلوك له (١/٤٩٣) ، وصبح الأعشى للقلقشندي (٤/٥ ـ ٦)

(٣) السلوك (١/ ق ٣/٤٩٣ ـ ٤٩٤) .

بمخلب يهتك دستباني   يفلّ حد السيف والسنانِ

و (دستبان) مركبة من : (دست) ، و (بان) وهي مخففة من (بند) . وفي (المخصص) [1] : القفاز ، وهي بالفارسية (الدستبان) ، الكيس من الأدم الذي يجعله الرجل على يده تحت رجل الصقر ، والسير الذي في رجلي الصقر قد جمع بينهما ، وهو القيد وقد وردت كلمة الدستبان كثيراً في كلام المولدين ، وجاءت أكثر من مرة في شعر كشاجم وفي كتابه (المصايد والمطارد) [2] . وأطلقت كلمة (الدستبند) على نوع من أنواع رقص الفرس : يمسك بعضهم بيد بعض ، فيكونون حلقة ، وهو أشبه برقصة الدبكة . وبهذا المعنى وردت في شعر ابن الرومي :

يلعب الدستبند فرداً وان كا   ن به شاغل عن الدستبند

وقال ابن المعتز :

ودنانٍ كمثل صف رجالٍ   قد أقيموا ليرقصوا الدستبندا

وقال الحافظ محمد بن الوزير :

كأنما يلعبن دستبندا   أحدثت بالأمس بهن عهدا

(ت)

١٤ — (التتر) : اقتصر أكثر اللغويين على إيراد (تتر) بالتحريك وزن (قمر) لهذا الجيل المعروف الذين يصاقبون الترك وقد شاعت في عصر المغول كلمة (التتار) ، واقتصر عليها مؤلف (الحوادث الجامعة) ، ووردت بهذه الصيغة في كثير من كتب المؤرخين بعد طبقة مؤلف الحوادث الجامعة ، وقال بعض اللغويين المتأخرين : « أما قول الناس (التتار) ، فما لم أجده »

---

(١) (١٤١/٨)

(٢) أنظر الصفحات التالية من الكتاب المذكور (٤ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٧٧ ، ٩٢ ، ١٠١ ، ١٩٧ ، ٢٣٣)

١٥ — (التخت) : بمعنى كرسي الملك ، أو سريره ، أو عرشه ، كلمة فارسية ، شاع أستعمالها منذ أستيلاء الأعاجم على هذه البلاد من عهد المغول الى عهد الأتراك حديثاً ، فقالوا : جلس السلطان على التخت ، أو أجلس عليه ، ومن كلامهم « تخت جمشيد » . ولفظ التخت بهذا المعنى ، ليس بعربي ، إذ أن التخت في العربية وعاء تصان فيه الثياب ويكثر أستعمال هذه الكلمة بمعناها الفارسي في المصنفات المعنية بتاريخ الدول الأعجمية جاء في (الحوادث الجامعة) [١] : « اجتمع الأمراء على رفع أرغون عن التخت ، وتسليمه الى أحمد ، وهو تكدار ابن السلطان هولاكو خان » ، وقال أيضاً : « ذكرنا في السنة الماضية أي ـ سنة ٦٨٠ ـ مسير الأمراء ، ليجلس السلطان أحمد على التخت ، فوصلوا اليه ، وأجلسوه على تخت الملك [٢] » ، وفيه أيضاً : « جلوس السلطان أرغون على التخت [٣] » ، وجاء أيضاً : « جلس السلطان غازان على التخت [٤] » ، وورد كذلك : « أجلسوه على التخت صورة ، وتولوا تدبير الملك [٥] » وتعني كلمة التخت في لهجة العراقيين والشاميين وغيرهم من أقطار العربية هذا اليوم سرير النوم ، لا سرير الملك ، أو هذا الذي يجلسون عليه في البيوت والأندية وما الى ذلك ، ويجمعونها على تخوت . وعلى كل حال فان الكلمة معربة ، أو دخيلة من التركية أو الفارسية . وقد وصف القلقشندي أنواع المقاعد التي يجلس عليها السلطان في مختلف المجالس على عهد الدولتين الأيوبية والتركية بمصر ، وفي هذا الصدد يقول : « سرير الملك ، ويقال له تخت الملك ، وهو مبني من رخام بصدر ديوان السلطان الذي يجلس فيه ، وهو على هيأة منابر الجوامع ، إلا أنه مستند الى الحائط وهذا المنبر ، يجلس عليه السلطان في يوم مهم ، كقدوم رسل عليه ونحو ذلك [٦] » . ووردت هذه الكلمة كثيراً في مؤلفات المؤرخين المتأخرين

---

(١) (٤١٧) . (٢) (٤١٩) (٣) (٤٣٩) (٤) (٤٨٣) (٥) (٤٩٩) .

(٦) صبح الأعشى (٤/٦ ـ ٧) وقد جاء في الفصل المذكور : « سرير الملك ، ويقال له تخت الملك ، وقد تقدم أن أول من اتخذ مرتبة للجلوس عليها في الإسلام معاوية حين بدن ثم تنافس الخلفاء والملوك بعده في الإسلام في ذلك ، حتى اتخذوا الأسرة . وكانت أسرة خلفاء بني العباس ببغداد يبلغ علوها نحو سبعة أمتار »

من عراقيين وشاميين ومصريين فالتخت كلمة فارسية ، تعني في الأصل لوحاً من الخشب ، وهي معروفة في اللغتين التركية والكردية بهذا المعنى ، وتضاف اليها في هذه اللهجات كلمات أخرى ، فيقال مثلاً (تخت روان) للتخت المحمول على الأكتاف ، أو على الدواب والتختة في اللهجة العراقية الشائعة خشبة يجلس عليها ، وأصلها من الفارسية .

٦ — (التزوير) : هو في الأصل من الزور ، وهو تزيين الكذب ، وإبطال الشهادة . ومن كلامهم : فلان يزوّر الزائر ، إذا قام بإكرامه هذا معنى التزوير في أصل اللغة . غير أن المولدين في أواخر العصور العباسية أستعملوا لفظة التزوير بمعنى تلاوة المأثور من الأدعية وغيرها ، عند زيارة المشاهد قال مؤلف (الحوادث الجامعة) ، وهو يذكر رحلة المستعصم آخر خلفاء بني العباس الى الكوفة ، مودعاً والدته في سبيلها الى أداء فريضة الحج : « ثم توجه الى الكوفة ، ودخل جامعها ، وقصد مشهد أمير المؤمنين عليه السلام ، وزوّره محمد بن كتيلة العلوي [1] » وهذه اللهجة شائعة الى الآن على ألسنة العراقيين ومن معاني التزوير عندهم ، تلاوة المأثور في زيارة المشاهد . والمزوِّر هو الذي يقوم بذلك

١٧ — (التسقيم) : التسقيم والتسقام في لهجة العراقيين هذا اليوم تعني إعداد العدة ، لفلاحة الأرض ، وتهيئة آلاتها وليس لها أصل في الفصحى بالمعنى المذكور ، ولكنها من مصطلحات المعنيين بشؤون الزراعة في عصر المغول وقد وردت أكثر من مرة في معجم ابن الفوطي عند ما يترجم لكبار التُنّاء والزراع ، فتراه يقول في ترجمة أحد حكام ذلك العصر : « قدم بغداد مدينة السلام سنة ٧٠٢ لأخذ معاونة النواحي بنهر الملك ، وتطهير النهر ، وتسقيم الأعمال » [2] . وقال في ترجمة القوساني [3] الناظر ما يأتي : « صدر جليل ولي الأعمال

(١) الحوادث الجامعة (١٨٨)

(٢) المعجم (٤/ مادة فلك الدين) ، واللباب (٥٩ — ١٠)

(٣) القوساني : نسبه الى قوسان ، كورة كبيرة ذات مدن وقرى كثيرة ، موقعها بين النعمانية وواسط وهي الكورة التي تقطنها الآن عشائر ربيعة والسراي ومياح وبعض عشائر زبيد ولكورة قوسان ذكر كثير في تأريخ المغول . قال مؤلف الحوادث ، وهو يؤرخ زيارة الطاغية أباقا للعراق ٦٧٢ : =

السلطانية ، وهو عالم بأمور السواد ومعرفة الزروع وعمارة الأراضي وتسقيم الأعمال وأختيار العمال . اجتمعت به عند الأمير عماد الدين أبي المظفر بن علجة[1] ». هذا ما قاله ابن الفوطي في ترجمة الصدر المذكور ، ولا يخفى أنه يُعنى في هذا المعجم بتراجم رجال الأعمال سواء أكان ذلك في الصناعة أم في الزراعة أم في غيرهما ، وهي ميزة يمتاز بها ابن الفوطي في معجمه المذكور . ويقول بعض الباحثين في موضوعات المقارنة بين اللغتين العربية والآرامية : إن أصل كلمة التسقيم الشائعة في العامية العراقية ، من اللغة الآرامية ؛ فان الفعل من هذه المادة في الآرامية يعني رتب ونظم ومسح وما إلى ذلك والخلاصة : تستعمل كلمة التسقيم والتسقام في لهجتنا الشائعة اليوم ، ويقال في اللهجة المذكورة أيضاً « تسقّم عليّ هذا الشيء بكذا » ، أي كلفني كذا ، وهي أيضاً من المادة المذكورة . هذا ، ومن المصطلحات الفقهية التي تقابل كلمة (تسقيم) قولهم (كردر) . ورد في بعض كتب الفقه أنها تعني إصلاح الأرض وإعدادها للزراعة ومن رأينا أنها دخيلة مركبة من قولهم (كار) عمل و (در) بمعنى ذو أو صاحب ، فهي تعني صاحب العمل وأستعملت كلمة (مسكة) بهذا المعنى الاصطلاحي في بعض الكتب الفقهية ، وقد يراد بها ما يراد بكلمة (حيازة) أو (لزمة) في هذا اليوم . ومن الكلمات المعربة الشائعة في هذا المعنى منذ العصور العباسية لفظة (دهقنة) بمعنى النظر في الشؤون الزراعية . والناظر يقال له (دهقان) ويعنون به رئيس القرية المعني بإعدادها للفلاحة وأصل الكلمة في الفارسية مركبة من : (دِه) بكسر الدال بمعنى القرية ، و (قان) بمعنى الرئيس أو الأمير في اللغة المذكورة ، قال السمعاني في الأنساب[2] : « الدهقان بكسر الدال المهملة وسكون الهاء وفتح

= « عبر دجلة ، وتضيد في أراضي قوسان ، حتى بلغ قريباً من واسط » وقد حددت هذه الكورة في كتاب معجم البلدان وقال صاحب مراصد الاطلاع : « قوسان بالضم ثم السكون وسين مهملة وآخره نون : كورة كبيرة ، ونهر عليه مدن وقرى قال : بين النعمانية وواسط ، وبهزه الذي يسقي زرعه يقال له الزاب الأعلى قلت : هو شط النيل » . وقال أيضاً في مادة زابات : « وبين بغداد وواسط زابان آخران يسميان الأعلى والأسفل ، وهما حدهما من الغراف فالأعلى عند سن ... وقصبة كورته النعمانية على دجلة ، والأسفل وقصبته نهر سابس قرب واسط ، على كل واحد من هذه الزوابي قرى وبلاد »

(١) المعجم (٥/ق١/ مادة كمال الدين ٢٧٦) . (٢) الورقة ٢٣١ .

القلف وفي آخرها النون : هذه الكلمة لمن كان مقدم ناحية من القرى ، أو من يكون صاحب الضيعة والكروم ، وأشهر بها جماعة في خراسان والعراق » ثم سمى السمعاني طائفة من المشهورين بهذه النسبة

وقال أيضاً : (التاني) بالتاء المشددة المعجمة من فوقها بنقطتين والنون بعد الألف : هذه النسبة الى (تناية) وهي الدهقنة ، ويقال لصاحب المال والعقار (التاني) . هذا ما قاله السمعاني[1] في الأنساب ، ويلي ذلك تسمية عدد من المنتسبين الى التناية وقال في (التاج) : (التناوة) بالكسر أهمله الجوهري ، وفي حديث قتادة : كان حميد بن هلال من العلماء ، وأضرّت به التناوة قال ابن الأثير : هي الفلاحة والزراعة ومثل (التناوة) بالواو (التناية) بالياء حكاها الأصمعي وفي ضبط الكلمة روايات متعددة تجدها في التاج

وقد جمع مصنف الحوادث الجامعة كلمة التناية على (تناءات) فقال في أخبار سنة ٦٧٦ : « استعمل مع الناس والمتصرفين وأهل التناءات والمروءة »

وفي أخبار سني إحدى واثنتين وثلاث عشر وثلاثمئة من كتاب الوزراء للصابي : « وورد الحضرة جماعة من التنّاء والمزارعين بديار ربيعة متظلمين »

١٨ — (التطبيق والتبنيد) : التطبيق لغةً المطابقة والطباق والتطبيق اصطلاح معروف عند علماء البديع . وتستعمل لفظة التطبيق في لهجة العراقيين اليوم بمعنى فرش أرض المنزل أو الغرف بالطابوق . ووجه المناسبة ظاهر ، فلا بد في تطبيق الأرض من المطابقة .

قال السمعاني في مادة الطوابيقي من كتاب الأنساب : هذه النسبة الى الطوابيق ، وهي الآجر الكبير الذي يفرش به صحن الدور .

و (التبنيد) بمعنى تقوية الجدران ، أو تأزيرها مما يلي الأرض خاصةً ، من اصطلاحات البنائين المعروفة الى هذا اليوم في العراق ، كما كانت في المئتين السابعة والثامنة ، أو في عصر الدولة الايلخانية في العراق . جاء في (الحوادث الجامعة) عند ذكر ترميم المستنصرية : « جدد تطبيق صحنها وتبنيد حيطانها[2] » . ويستفاد من ذلك أن لهجة العراقيين الشائعة هذا اليوم

(١) كتاب الأنساب الورقة (١٠٢) (٢) الحوادث الجامعة (٣٦٥)

شبيهة بلهجة أجدادهم في العصر المذكور ولاُستعمال كلمة التطبيق وجه لغوي صحيح ، فإنهم يقولون « طبق الأرض » أي غطى وجهها ، ويقـولون أيضاً « طبق الشـــيء تطبيقاً عمّ ، والسحاب الجوّ غشاه ، والماء وجه الأرض غطاه » .

١٩ — (تعلّـق على فلان — احتمى به) : يـكثر في لهجتنا الشائعة هذا اليوم قولهم : « فلان متعلق على فلان » أي مُحْتَـمٍ أو متحرِّم به . ويقولون « لنا معلقة بآل فلان » أي أرحام أو أقارب أو أصهار وما الى ذلك . و « المَـلَـق » يمنون به في اللهجة الريفيـة الهدنة الموقتة . وهذا الاُستعمال قديم في اللهجة العراقية ، ففي أخبار سـنة ٦٥٦ من (الحوادث الجامعة) : « كان ببغداد جماعة من التجار قد تعلقوا على أمراء المغول » يعني اُحتموا أو تحرّموا بهم . ولا يقال في الفصيح تعلّـق عليه ، بل تعلق به . وفي هذا الكلام ، كما لايخفى ، ضرب من المجاز والاُستعارة من مادة العلاقة والعُـلقة ، فهو الأصل في هذا الاُستعمال

٢٠ — (التمغة) : وردت لفظة التمغة ، وجمعها تمغات ، كثيراً في تصـانيف مؤرخي عصر المغول بمعنى الطابع وظل اُستعمال هذه اللفظة شائعاً في عصر الأتراك بعد عصر المغول شأن غيرها من الألفاظ التركية والمغولية والفارسية ومن الـكتب التي كثر فيها اُستعمال هذه اللفظة في حالة الإفراد والجمع (كتاب تلخيص مجمع الآداب) لاُبن الفوطي ، قال في ترجمة أحد الملقبين بعلم الدين : « كان ضابطاً ، كتب بأعمال التمغة ببغداد » [١] ، وجاء في (الحوادث الجامعة) : « سلم الى العميد زين الدين ضامن تمغات بغداد » [٢] ، وجاء أيضاً : « تقدم بإعادة الزين عميد بغداد الى التمغات [٣] » ، وورد أيضاً : « كاغد عليه تمغة السلطان » [٤] ، وفي حوادث سـنة ٦٧٢ : « أمر — يعني الطاغية أباقا في زيارته الأولى الى بغداد — بالإحسان الى الرعايا ، وتخفيف التمغات ، وحذف الأثقال عنهم » [٥] ولينظر فيما اذا كان أصل هـذه اللفظة من قول العرب (دمغه) ، أي ضربه على دماغه ومن الشواهد على اُسـتعمال كلمة دمغ بمعنى طبع في كلام المترسلين المولدين ، ما ورد في (رحلة بنيامين) : « كان يدمغ الشال المقصّب

(١) المعجم (٤/مادة علم الدين) ، واللباب (٨٧) (٢) الحوادث الجامعة (٤٣٣) .
(٣) (٤٥٧) (٤) (٤٧٧) (٥) (٣٧٥)

بختمه [1] » يعني يختم الشال ، أو يطبع الشـــال هذا ، وقد أدركنا حفظة مخازن الحبوب والغلات في حواضر الفرات القريبة من مراكز الإنتاج ، كالديوانية والحلة وكربلاء والنجف والكوفة والهندية ، يستعملون خشبة حفروا على أحد وجهيها كلمة الشهادة أو البسملة لختم الغلات بها ، وهم يسمونها (رشم) يعنون الخاتم أو الطابع والكلمة لها أصل في اللغة ، فان للعرب يقولون (الروسم والراسوم ، والروشم والراشوم) طابع يطبع به رأس الخابية ، وخشبة تكتب بالنقر (الحفر) يختم بها الطعام وقد ورد ذلك في المعجمات المشهورة [2] وفي كتاب رشيد الدين الطبيب المسمى (تاريخ مبارك غازاني) بالفارسية فوائد طريفة عن التمغات ، وأشكالها ، وموارد أستعمالها ، وتخصيص كل قطر من الأقطار التابعة لحكم المغول بطابع أو (دمغة معينة) ، وكان شكل التمغة مربعاً قبل عصر غازان . فلما أسلم ، ونشر الدعوة للدين الإسلامي ، غير شكل التمغات من المربع الى المدوّر ، ولم يكتف بذلك ، بل طبع لفظ الجلالة وأسم الرسول (ص) على كثير من شارات الدولة وأعلامها وما الى ذلك [3]

(ج)

٢١ — (الچاو) : بالجيم الفارسية لفظة مغولية ، تعني الأوراق النقدية قال صاحب (الحوادث الجامعة) في تعريفها : « كاغد عليه تمغة السلطان ، عوض السكة على الدنانير والدراهم ، أمر الناس أن يتعاملوا به وكان من عشرة دنانير الى ما دون ذلك ، حتى ينتهي الى درهم ونصف وربع ، فتعامل به أهل تبريز أضطراراً لا أختياراً » [4] وورد ذكر الچاو في حوادث سنة

---

(١) أنظر الرحلة المذكورة ط بغداد (١٣٢)

(٢) راجع مادة رشم ورسم في المعجمات العربية وخصوصاً قاموس الفيروزآبادي

(٣) أنظر عن التمغة وما يتعلق بها في عصر غازان الصفحات الآتية من كتاب (تاريخ مبارك غازاني) : (٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٣١٢ ، وكانت بعض التمغات كبيرة أنظر عن ذلك صفحة (٢٩٢) ، وانظر عن عمل التمغة (١٤٦ ، ٢٦١ ، ٢٩٣ ، ٣١٧) ، وعن عمال التمغة (٢٠٦ ، ٢٤٦ ، ٢٧٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣) ، وعن أمراء التمغات (٢٧٥) ، وعن تمغات الفرسان (٢٧٥) ، وعن تمغات المدن في عصر المغول (٢٤٥)

(٤) الحوادث الجامعة (٤٧٧)

٦٩٧ بالنص الآتي : « فيهـا أمر السلطان غازان بقتل صدر الدين أحمد بن عبد الرزاق الخالدي صاحب ديوان الممالك ، لما ظهر من سوء حركاته ، وكان غير محمود السيرة ، ظالماً ، أظهر (الچاو) ، وقسر الناس على المعاملة بـه ، فأضرّ بهم ، وبطلت معايشهم ، وتعطلت أمورهم ، الى أن لطف الله تعالى وألهم السـلطان إبطاله[1] » . هذا ما ورد عن لفظـة الچاو في كتاب (الحوادث الجامعة) غير أن هذه الكلمة المغولية البحتة ، هجرت ، بل ماتت بعد ظهورها بقليل ، ولم يكتب لها البقاء غير مدة قصيرة في بلاد فارس وأذربيجان وبعض الأقطار الأخرى التي ملكها المغول . والظاهر أنها لم تعرف في العراق ، الّا في الأوامر الديوانية المغولية

٢٢ — (الچتر) : بالجيم الفارسية ، كلة شائعة في اللغة الهندية وأصلها من العربية فيما نرى ، وهي تعني مظلة أو ستاراً من حرير مزركش . وقد عرّفها القلقشندي في (صبح الأعشى[2]) . وكان الچتر ، بكسر الجيم الفارسية ، من شعار سلاطين الدولة الفاطمية والأيوبية والخوارزمية والمماليك . ففي أخبار سـنة ٦٠٣ من (الجامع المختصر) لابن الساعي[3] : « وأنفذ چترين ، لكل واحد منها چتر ، ومئة رأس من الخيل ، فقبل تاج الدين ذلك ، ورد الچتر ، وقال : هذا له أصحابه ، لايصلح لنا ، وأما أبيك ، فقابل ذلك بتقبيل الأرض ، وردّ الچتر أيضا ، وقال : الچتر لايصلـح الا للملوك » وورد ذكر الچتر كثيراً في تاريخ الدولة الخوارزمية في أوائل القرن السابع ، ففي (سيرة جلال الدين منكبرتي) : « فحين شاهد السلطان أمر بنشر الچتر ، وكان ملفوفاً »[4] ، وفي حوادث سـنة ٦٩٤ من كتاب (الحوادث الجامعة) : « وأما لاچين ، فانه دخل مصر ، ورفع البيسـري الچتر على رأسه » . هذا ما ورد في كتب التاريخ المذكورة ، ويستفاد منه أن الچتر ضرب من المظال الخاصة بالملوك ، وقد تطلق على نوع من المضارب والفساطيط الملـكية . ففي (سيرة جلال الدين منكبرتي) ما هذا لفظه : « ركب شاهنشاه ، وأخذ يخدم ، الى أن وصل ، وعانقه السـلطان ، وأشار اليه بالوقوف تحت الچتر ،

(١) الحوادث الجامعة (٤٩٥)   (٢) (٤/٧ — ٨)   (٣) (٨/٤) .
(٤) سيرة جلال الدين منكبرتي للنسوي (٥٤)

فوقف عن يمينه ، وتداعت إذ ذاك دعائم الچتر وقضبانه التي ينشر عليها ، وتساقط ، وتطير الناس لذلك [1] ». فالچتر ، كما وصفه النسوي هنا ، أكثر من مظلة ؛ لأن المظلة يحملها شخص واحد ولا تحتاج الى تلك الدعائم والقضبان ووورد في حوادث سنة ٦٨٢ من (كتاب السلوك) [2] للمقريزي ما يأتي : « وفيها قدم الشيخ عبد الرحمن في الرسالة من الملك أحمد أغا سلطان الى (البيرة) ، وعلى رأسه الچتر كما هي عادته في بلاد التتر ، فتلقاه الأمير جمال الدين أقش الفارسي أحد أمراء حلب ، ومنعه من حمل الچتر والسلاح ، وعدل به عن الطريق المسلوك الى أن أدخله حلب ثم الى دمشق » هذا ما جاء في كتاب السلوك ، ويستفاد منه أن رفع الچتر على رؤوس بعض طبقات الأمراء من العادات التي أعتادها التتر في المئة السابعة والثامنة . وتجمع هذه اللفظة على چتور وحامل الچتر ، من وظائف دولة المماليك الأولى في مصر [3] . وفي (السلوك) : « لما دخل غزة ، حمل الأمير بيسري الچتر على رأسه » [4] ، وجاء في أخبار سنة ٧٠٢ من (كتاب السلوك) ما يأتي : « حمل الأمير مبارز الدين سوّار الرومي أمير شكار القبة والطير ، وحمل الأمير بكتمر العصا ، والأمير سنجر الدبوس ، ومشى كل أمير في منزلته » [5] ومن هذه الجملة يستفاد أن القبة والطير هما المظلة ، أو الچتر الذي كان من رسوم الفاطميين في مصر . ويؤيد هذا ما جاء في (صبح الأعشى) للقلقشندي [6] عن المظلة ، وهو : « المظلة ، ويعبر عنها بالچتر ، وهي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب ، على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب ، وهي من بقايا الدولة الفاطمية » فالمظلة والقبة لفظان بمعنى واحد وقد شاعت كلمة المظلة في عصر الفاطميين ، والقبة أو الچتر في عصر المماليك . وعدّ أبن فضل الله العمري [7] الچتر والمظلة من الآلات الملوكية ، في فصل مسجوع متكلف ويستفاد مما قاله أبن فضل الله أنهم كانوا يرفعون الچتر على صهوات الخيول ، وفي أعلاه صورة طير

---

(١) سيرة جلال الدين للنسوي (٣٠٢ ــ ٣٠٣)

(٢) (١/ق ٣/٧١٧) وراجع عن الجتر والجتور الصفحات الآتية من الكتاب (٤٤٣ ، ٤٤٦ ، ٦٣١ ــ ٦٣٢ ، ٧١٧ ، ٧١٩ ، ٧٩٩ ، ٨١٦ ، ٨٢٢ ، ١٠٣٨)

(٣) ١/ق ٣/٧٩٩) (٤) (١/ق ٣/٨٢٢) (٥) ١/ق ٣/٩٣٩ .

(٦) صبح الأعشى (٤/٧ وما يليها) (٧) التعريف في المصطلح الشريف (٢١٦ ــ ٢١٧)

هذا ، ومن رأينا أن كلمة (چتر) مأخوذة من كلمة (ستر) العربية ، خلافاً لرأي من يرى أنها كلمة دخيلة من الهندية أو الفارسية وكنا نسمع النوتية العراقيين الذين يعملون في البواخر بين بغداد والبصرة يطلقون كلمة (چتري) على ضرب من الستائر والمظلات التي تنشر على الباخرة .

٢٣ — (چرخ) : كلمة فارسية ، تعني في الأصل الشكل المدور ، ومن ذلك قولهم : « چرخ فلك » ، وتطلق على جملة من الأشياء والآلات المدورة الشكل في عصر المغول . ثم أطلقت على نوع من آلات الحرب ترمى بواسطتها النبال أوالنشاب أو الحجارة . وقد أستعملت هذه الكلمة في حصار الجيش العباسي لمدينة إربل سنة ٦٣٥ ، ووردت في تأريخ الحادثة المذكورة ، ففي أخبار تلك السنة من (كتاب الحوادث الجامعة) عن تعبئة الأمير قشتمر إزاء مدينة إربل : « نصب البيت الخشب مقابل الباب ، بالقرب منه ، بحيث يسمع كلامهم ويسمعون كلامه ويصل نشاب الچرخ اليه [1] » ومعنى (الچرخ) هنا الدولاب والبكرة وما إلى ذلك من الآلات التي تدور وكلمة (الچرخ) شائعة الى الآن في لهجة العراقيين ولهجة غيرهم من أبناء الأقطار العربية بالمعنى المذكور . و (الچرخي) نقد بغدادي تركي ضرب في بغداد من الفضة ، ورد ذكره في العدد المؤرخ ٢٢ رجب ١٢٩٠ (١٥ أيلول ١٨٧٣م) من (جريدة الزوراء) ، وتقول الجريدة إن (الچرخي) من ضرب (علي باشا) لما كان والياً على بغداد . وللچرخي ذكر في رسائل بعض المعنيين بالبحث في موضوع النقود ، ويقول أحدهم أيضاً إن نقداً ذهبياً ضرب في مدينة الحلة في أيام السلطان سليمان الأول ، ولم يعين أسم هذا النقد المضروب في الحلة ولا تاريخ ضربه هناك ومن النقود الإيرانية المتأخرة نقد فضي صغير يقال له (قران چرخ) ، وكان معروفاً في العراق الى عهد غير بعيد

وكلمة (الدولاب) التي يفسرون بها كلمة الچرخ فارسية أيضاً ، ولكنها من المركبات . وهي مركبة من كلمة (دول) أي الآنية ، و (آب) أي الماء ، فهي آلة لرفع الماء من النهر ،

(١) الحوادث الجامعة (٤٦)

قال بعض اللغويين : « الدولاب هو ما يديره الحيوان ، والناعور ما يديره الماء » ، وفي اللغة العربية يقال للدولاب والچرخ (المنجنون)

وما الدهر الا منجنون بأهله وما صاحب الحاجات الا معذبا

هذا ، ويستفاد من موارد أستعمال كلمة (الدولاب) أنها خصصت بتلك الآلة التي يرفع بها الماء من النهر ، فهي لا تطلق على جميع الآلات التي تدور كالچرخ ونحوه . وفي أخبار سنة ٦٥٠ من كتاب الحوادث الجامعة : « عمل له بستاناً غرس فيه الشجر وعمل له دولاباً » ، وجاء في أخبار سنة ٦٦٨ من الكتاب المذكور : « تقدم علاء الدين صاحب الديوان بعمل دولاب تحت مسناة المدرسة المستنصرية ، يفيض الماء من دجلة الى مزمّلتها ، ثم يجري تحت الأرض الى بركة عملت في صحن المدرسة ، ثم يخرج منها الى مزمّلة عملت تجاه ايوان الساعات خارج المدرسة » . وهكذا أقبل البغداديون على نصب الدواليب المذكورة التي ترفع الماء من دجلة الى البيوت والمدارس والمرافق العامة ، ومن ذلك يستفاد أن مستوى أرض بغداد كان دون مستواها الحالي بالنسبة الى النهر ومن رأينا أن أفضل كلمة عربية بحتة يصح الأستغناء بها عن الكلمات الأعجمية كالچرخ والدولاب بهذا المعنى هي كلمة (عجلة) بالتحريك قال السمعاني في مادة (العَجَلي) : هذه النسبة لأبي سعد عثمان بن علي بن (شِراف [1]) العَجَلي ، إمام فاضل مصيب في الفتوى ، سمع جماعة من المتقدمين ، وكانت نسبة (العَجَلي) رأيتها مضبوطة بخط محمد بن علي بن ياسر الحسابي ، فسألته عن هذا التقييد ، فقال : هذه النسبة الى (العَجَلة) وهي المنجنون التي تدار على الثور والفرس ، ولعل واحداً من أجداده كان يعمله ، الى أن قال : كتب لي الإجازة بجميع مسموعاته . وفي (القاموس) : العجلة بالتحريك الآلة التي يجرها الثور ، جمعها عِجَل وعِجال ، والدولاب والمحالة وخشب يؤلف يحمل عليه الأثقال ويستفاد مما ورد في التاج أنها سميت (عجلة) لسرعة مَرِّها ، وقالوا عن المحالة إنها البكرة العظيمة والخشبة التي يستقي عليها

(١) هكذا ضبط اسمه في نسخة الأنساب المصورة ، وضبط بالباء على صورة (شراب) في القاموس والتاج ، وقد ترجم له السمعاني والزبيدي ، فلتحقق هذه الكلمة

الطيّانون [1] وكلمة العجلة بمعنى الجرخ والدولاب والمنجنون ، شاعت في هذا العصر الحديث ، وغلبت على غيرها من الكلمات العربية والأعجمية

(خ)

٢٤ — (خاتم الأمان) : تركيب محدث في بعض عصور العباسيين ، وله ذكر في عصور المغول أيضاً . وخاتم الأمان هذا هو رمز الوفاء بعهد السلطان وبره بقسمه وعهده وذمته . وإعطاء هذا الخاتم هو وسيلة الثقة والاطمئنان ، وإنما وقع الاختيار على تسمية أداة الأمان باسم الخاتم دون غيره ؛ لأن الخاتم هو الأداة التي تمضي بها العهود والمواثيق . وفي كتب السير والتاريخ والأخبار ذكر لمنديل الأمان ، وهو كخاتم الأمان فيما له من أثر وقيمة .

نشأت هذه العادة ، فيما نرى ، بعد وقائع كثيرة من قبيل الغدر والحِنث بالأيمان والنكث بالعهود والمواثيق ؛ لأنها كانت أقوالاً مجردة غير معززة بوثائق مادية ، وهو أمر يدل على انعدام الثقة بين القوي والضعيف ، وتأصل الشك والارتياب بين الحاكم والمحكوم ، فاهتدوا الى خاتم الأمان ، والأمثلة على الغدر والنكث بالعهود كثيرة في أحداث التاريخ . وكان فريق من الأمويين والخلفاء العباسيين وغيرهم من السلاطين لايبالون بنقض العهود ، حتى شك الناس بوفائهم في كل ما يقطعونه من مواثيق وفي الخلاف الناشب بين النفس الزكية محمد بن عبدالله ابن الحسن قتيل أحجارالزيت بالمدينة وبين أبي جعفر المنصور قصة معروفة ، كتب المنصور فيها الى النفس الزكية : « أن أقدم علينا وأنت آمن » ، فكتب اليه النفس الزكية : « أهو أمان عمك عبد الله بن علي ، أم أمان أبي مسلم الخراساني ؟ » ، وكان المنصور قد قتل أبا مسلم بعد أن

---

(١) في نسخة القاموس المطبوعة (يستقر) وهو وهم صححه الزبيدي بكلمة (يستقي) في كتاب التاج ، وفي ضبط كلمة (الدولاب) أيضاً أقوال ، قال السمعاني : (الدولابي) بضم الدال المهملة وفي آخرها الباء الموحدة : هذه النسبة الىالدولاب ، والصحيح في هذه النسبة فتح الدال ، ولكن الناس يضمونها ، وأنشد الأصمعي :

ولو أبصرتني يوم دولاب أبصرت ... طعان فتى في الحرب غير ذميم

فهذه النسبة الى عمله ، أو الى من كان له الدولاب وقال أصحاب المعجمات في مادة (جن) : المنجنون الدولاب مؤنث ، ونقله صاحب التاج عن الصحاح ، ويلي ما قاله صاحب التاج عن كلمة منجنون بحث في ميم هذه الكلمة ونونها واختلافهم فيهما من حيث الأصالة والزيادة

قدم عليه بعهد وأمان في قصة مشهورة وكان محمد بن عبد الله محقاً فيما ساوره من شك وأرتياب بتلك المواثيق

الى هذا الضرب من الوقائع الدالة على التحلل من العهود والمواثيق الغليظة في التأريخ مَرَدُّ الإصرار على تلك الوثيقة المادية ـ أعني وثيقة الأمان ـ في بعض حوادث النزاع والخلاف . وفي ذلك ما فيه من الدلالة على أتّساع مسافة الخلف والجفاء بين الطبقة الحاكمة والمحكومة في العصور المذكورة ورد ذكر خاتم الأمان في تضاعيف كتب التأريخ التي ألفها المتأخرون من طبقة صاحب (الحوادث الجامعة) في العراق وفي كتب الطبقة المذكورة من مؤرخي مصر والشام وفي خلافة المستعصم آخر خلفاء بني العباس ، تكررت حوادث الشّغب والأضطراب التي قام بها بعض فرق الجيش ، أو خالف فيها بعض أركان الدولة ، فأضطر المستعصم الى إرسال (خاتم الأمان) للاصلاح بين فريقين مختلفين ، أحدهما الخليفة نفسه ، والآخر فريق من رعيته . جاء في أخبار سنة ٦٤٠ من كتاب (الحوادث الجامعة) ما نصه : « في شعبان حضر جماعة المماليك الظاهرية والمستنصرية عند شرف الدين إقبال الشرابي ، للسلام على عادتهم ، وطلبوا الزيادة في معايشهم ، وبالغوا في القول ، وألحوا في الطلب فحرد عليهم ، وقال : ما نزيدكم بمجرد قولكم ، بل نزيد منكم من نزيد اذا أظهر خدمة يستحق بها ذلك . فنفروا ، وخرجوا من فورهم الى خارج السور ، وتحالفوا على الأتفاق والتعاضد » . هذا ما جاء في حوادث السنة المذكورة من (الحوادث الجامعة) ويلي ذلك كلام في تأزم الخلاف ، وأستمرار المخالفين على ذلك عدة أيام ، وفي آخر هذا البحث يقول المؤرخ المذكور : « اجتمع بهم الشيخ السبتي الزاهد ، وعرفهم ما في ذلك من الإثم ومخالفة الشرع ، فأعتذروا ، وسألوه الشفاعة لهم وأن يحضر لهم (خاتم الأمان) ليدخلوا البلد . فحضر عند الشرابي ، وعرفه ذلك ، وسأله إجابة سؤالهم . فأخرج لهم خاتم الأمان مع الأمير شمس الدين قيران الظاهري والشيخ السبتي ، فدخلوا والشيخ راكب حماره بين أيديهم ، وحضروا عند الشرابي معتذرين [1] » هذا ، ويبدو لنا

(١) الحوادث الجامعة (١٦٨ — ١٦٩) وتجد في أخبار سنة ٦٥٣ من هذا الكتاب ذكراً =

ما يدل على تراخي الأمور وانتقالها من سيء الى أسوأ بعد هذا التأريخ ، حتى لم يبق لخاتم الأمان نفسه قيمة تذكر ، ولم ينج من الغدر بعض الأكابر الذين أعطي لهم خاتم الأمان ، ومن ذلك الشريف أحمد بن رميثة الذي قتل بأمر الشيخ حسن بن الأمير أقبغا الجلائري بعد إعطائه خاتم الأمان . ولولا ثقة هذا الشريف بمهد ذلك الأمير ، لما تمكن من قتله ، وقد قتل على صورة غاية في الفظاعة والتنكيل (١)

أمان التتر :

ولا يخفى أن الشيخ حسن حاكم العراق (سنة ٧٤٠ — ٧٥٧) ، من الجلائريين . والجلائرية قبيلة من قبائل المغول التي انتقلت اليها السلطنة بعد انقراض الأسرة الإيلخانية ، وهو في غدره بالشريف أحمد بن رميثة بعد بذل الأمان له ، حذا حذو أسلافه والمعروف أن التتر لا أمان لهم ، وذلك منذ ظهور جنكيز خان الى أن انقرضت دولتهم . وكلما بذلوا الأمان لبلد ، ثم دخلوه ، قتلوا أهله عن آخرهم ، كما فعل جنكيز بأهل بخارى وسمرقند وغيرهما من مدن ما وراء النهر وتركستان في حوادث مشهورة . والخلاصة : هذا هو ديدن المغول ، وهذه هي عاداتهم المنكرة في الشرق كله على ذلك العهد ، وفي خراسان وفارس وأذربيجان والعراق وفي الري وأصفهان

وهذه الأفاعيل كلها فعلها التتر (المغرّبة) ، أي الذين اتجهوا من الشرق الى الغرب ، وقصصهم وفظائعهم في (مرو) معروفة فإن مقدم هذه المدينة ـ أعني مَرْوَ ـ خرج الى جنكيزخان بأمان منه ، نخلع عليه ابن جنكيز ، وأكرمه ، وعاهده أن لا يتعرض لأحد من أهل مرو ، وفتح الناس الأبواب للمغول فلما تمكنوا من المدينة ، استعرضوا أهلها بالسيف ، وقتلوهم عن آخرهم ، ولم يبقوا منهم بقية . ثم ساروا الى (نيسابور) ، فارتكبوا فيها وفي أقاليم

= لتجدد الخلاف بين الدوادار والوزير ابن العلقمي ، وبينه وبين المستعصم ، وغلبة الخوف والقلق على الدوادار ، ولم يحسم الخلاف بين الفريقين إلا بعد تردد المشايخ والأعيان في بغداد بينهما ويلاحظ أن الدوادار أصر على صدور كتاب أمان مذيل بتوقيع المستعصم ، فكان له ما أراد

(١) يراجع عن هذه الحادثة (عمدة الطالب) ص (١٣٣) .

خراسان وفارس وأذربيجان والعراق وبلاد الروم والكرج ، وقد غدر المغول بأهل الموصل بعد بذل الأمان لهم في حادثة مشهورة ، وأباحوا البلد ، وأسـروا صاحبها اسماعيل بن بدر الدين لولو وجماعة من ذويه ، وبعثوا بهم الى الطاغية هولاكو وهو بأذربيجان ، فأمر بقتلهم ، ومثل بهم على أفظع صورة

والخلاصة إن كتب التأريخ طافحة بأخبار هذه الهمجية المغولية (١) ، والنكث بالعهود والمواثيق بعد بذل الأمان وقد تطورت وثيقة الأمان في عصر الغازي تيمور ، فكانت هذه الوثيقة تعني أستيفاء مبالغ مالية طائلة من سكان الأقطار أو المدن التي حاصرها تيمور وتسمى هذه المبالغ المستوفاة على هذا الشكل (مال الأمان) أو (مال الأماني) ، وقد أستعملت كلمة (مال) هنا مكان (خاتم الأمان) أو مكان (منديل الأمان) ، في حروب تيمور ، كما يبدو ذلك لمن يتصفح ما كتبه الغياثي في تأريخ تيمور (٢) .

حقيقة خاتم الأمان :

هذا بعض ما ورد عن خاتم الأمان في كتب التأريخ ، فما حقيقته ؟ وهل من الضروري أن يكون خاتم الأمان هو عين هـذا الخاتم المعروف ؟ نقول : في حقيقة هـذا الخاتم أقوال ، فبعضهم يرى أنه هو هذا الخاتم المتعارف المتخذ من مَعْدِن الفضة أو الذهب المنقوش المرصع بالفصوص والأحجار الكريمة وهو الخاتم الذي يكتب عليه أسم السلطان ، أو لقبه ، أو شعاره ؛ ويذهب آخرون أن خاتم الأمان عبارة عن علامة أوسمة خاصة ، وليس من الضروري أن يكون ذلك الخاتم المتعارف ، فقد يرمز الى خاتم الأمان بشكل كتاب عليه سمة السلطان أو بشكل منديل ؛ وقد يكون بكتاب يختم آخره بكلمات وعبارات خاصة ، وقد يكون عبارة عن ختم بالطين ، أو بالمداد ، نقشت عليه كلمات تدل على صحة ما جاء فيه ، ويسمى خاتماً على سبيل

(١) عقد ابن أبي الحديد فصلا ممتعاً في زحف المغول وتدمير الشرق على أيديهم في غزواتهم المعروفة ، وقد وقع جانب منها في عصره ويراجع عن الفصل المذكور شرح نهج البلاغة (٢/٣٦٣ ـ ٣٧١)

(٢) أنظر الصفحات الآتية من تأريخ الغياثي مخطوطة مديرية الآثار القديمة (٢٠٢ ـ ٢٠٣ ، ٢٠٦) وقد تكررت فيها هذه العبارة : (أرمى عليهم مال الأمان أو الأماني) ، ونظنها محرفة عن الأمان من الناسخ ، وهو يعني بكلمة (أرمى) فرض وكلمة (أرمى) من الرمي ، فعل مخالف لأصول العربية ، وقد قلنا إن لهجة الغياثي لهجة عامية فاسدة .

التشبيه بالخاتم ، وليس بذلك الخاتم المتعارف . ومن هذا القبيل (خاتم القاضي) ، الذي يبحث به الخصوم ، أي علامته وخطه الذي ينفذ بها أحكامه ومن ذلك (خاتم السلطان) أو الخليفة ، أي سمته أو علامته . وفي التأريخ شواهد غير قليلة تدل على أنهم أرادوا بالخاتم معنى رمزياً أو كناية عبروا بها عن السمة والعلامة

قال الرشيد ليحي بن خالد ، لما أراد أن يستوزر جعفراً ويستبدل به من الفضل أخيه ، قال لأبيهما يحي : « إني أردت أن أحوّل الخاتم من يميني الى شمالي » فكنى له بالخاتم عن الوزارة ، إذ كانت العلامة على الرسائل والصكوك من وظائف الوزارة . ويشهد بصحة هذه الكناية ما رواه المؤرخون [1] من أن معاوية أرسل الى الحسن عند مراودته اياه بالصلح صحيفة بيضاء ، ختم في أسفلها ، وكتب اليه : « أنْ اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت ، فهو لك » . قال ابن خلدون : « معنى الختم هنا علامة في آخر الصحيفة بخط أو غيره ، ويحتمل أن يختم به في جسم لين فتنتقش فيه حروفه ، ويجعل على موضع الحزم من الكتاب اذا حزم ، وعلى المودعات ، وهو من السداد . وأول من أطلق الختم على الكتاب أي العلامة ، معاوية ، لأنه أمر لعمرو بن الزبير عند زياد بالكوفة بمئة ألف . ففتح الكتاب ، وصيّر المئة مئتين ورفع زياد حسابه ، فأنكرها معاوية ، وطالب بها عمراً ، وحبسه حتى قضاها عنه أخوه عبد الله ، واتخذ معاوية عند ذلك ديوان الخاتم كما ذكره المؤرخون [2] » . وقال آخرون : وعند ذلك أمر معاوية بحزم الكتب ، ولم تكن بحزم ، أي جعل لها السداد وديوان الختم عبارة عن الكتاب القائمين على إنفاذ كتب السلطان والختم عليها بالعلامة أو بالحزم ، وهو ما يطلق عليه الآن (شعبة الرسائل الصادرة)

قال أبن خلدون : « والحزم للكتب يكون إما بدس الورق كما في عرف كتاب المغرب ، وإما بلصق رأس الصحيفة على ما تنطوي عليه من الكتاب كما في عرف أهل الشرق . وقد يجعل على مكان الدس ، أو الإلصاق ، علامة يؤمن معها من فتحه والاطلاع على ما فيه .

(١) أنظر تاريخ الطبري (٢) ابن خلدون : المقدمة ط البهيه المصرية (١٨٦)

فأهل المغرب يجعلون على مكان الدس قطعة من الشمع ، ويختمون عليها بخاتم نقشت عليه علامة ، وفي المشرق في الدول القديمة يختم على مكان اللصق بخاتم منقوش أيضاً قد غمس في مدادٍ من الطين معدّ لذلك ، صبغه أحمر ، فيرتسم ذلك النقش عليه وكان هذا الطين في الدولة العباسية يعرف بـ (طين الختم) ، وكان يجلب من (سيراف) ، فيظهر أنه مخصوص بها فهذا الخاتم الذي هو العلامة المكتوبة ، أو النقش للسداد والحزام للكتب ، خاص بديوان الرسائل . وكان ذلك للوزير في الدولة العباسية ، ثم اُختلف العرف ، وصار لمن اليه الترسل وديوان الكتاب في الدولة ثم صاروا في دول المغرب يعدون من علامات الملك وشاراته الخاتم للإصبع ، فيستجيدون صوغه من الذهب ، ويرصعونه بالفصوص من الياقوت والفيروزج والزمرد ، ويلبسه السلطان شارة في عرفهم ، كما كانت البردة والقضيب في الدولة العباسية ، والمظلة في الدولة العبيدية »

هذا ما قاله اُبن خلدون وقد وصف اُبن فضل الله العمري خاتم الأمان ومنديل الأمان ، وعدهما من آلات الملك في عصره ، وهو أواسط المئة الثامنة ويستفاد مما قاله عن خاتم الأمان أنه هو هذه الحلية المتعارفة المتخذة من الذهب ، وقال عن منديل الأمان ما يأتي : « منديل الأمان ، وكفيل السلامة الوافي بالضمان ، يشدّ من الوسط فلا ينحل ، ويقوم مقام المنطقة في المحل[1] » هذا ما قاله اُبن فضل الله العمري ويستفاد من كلامه أنهم كانوا يعقدون منديل الأمان من وسطه ، ويرمزون بذلك الى وثاقة العقد ومتانة العهد

٢٥ — (خار) : فارسية ، تعني نسيجاً من الحرير فيه تموج ، لا تزال معروفة عند بعض العراقيين كما كانت معروفة في عصر المغول . ففي أخبار سنة ٦٣٠ من كتاب (الحوادث الجامعة) : « خلع عليه قميصاً أطلس بطراز مذهب ، وخاراً أسود ، وعمامة ، وثوب خارٍ مذهب »

٢٦ — (الخربندية) : فارسية ، بمعنى خواص الخدم أو الفدائية شاع أستعمالها في

(١) التعريف بالمصطلح الشريف (٢٠٩ ـ ٢١٠)

عصر المغول ، ففي (الحوادث الجامعة) : « شوى الخربندية لحمه ، وأكلوا منه »[1] .

٢٧ — (خست) : فارسية ، معناها مريض ، عُرفت في عصر المغول في العراق ، ولم تزل معروفة الى اليوم في لهجة الأتراك وبعض العراقيين وكان العراقيون الى عهد قريب تبعاً لحكامهم من الأتراك يسمون المستشفى (خستخانه) ، أي دار المرضى . وفي أخبار سنة ٦٤٠ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « أن تركياً عاد خستاً[2] له ، وبات عنده ، فمات العائد وفرسه » ويستفاد من ذلك أن هذه اللفظة الفارسية دخلت الى التركية من عصور بعيدة . هذا ، وكانت دار المرضى تسمى في العصر الأول من عصور بني العباس (المارستان) ، وأصلها بيمارستان ، ومن ذلك « المارستان العضدي » المشهور في بغداد وقد أستغنى العراقيون في العصر الحاضر ، كغيرهم من أبناء الاقطار المأهولة بالعرب ، عن هاتين الكلمتين ، أعني مارستان وخستخانه ، بكلمة (المستشفى) ، كما أنهم أستغنوا عن كلمة (أجزاخانه) بكلمة (صيدلية) ، وكفى الله المؤمنين شر الرطانة

٢٨ — (الخشل) : الحليّ ، أو رؤوس الخلاخيل والأسورة ، عربية صحيحة ، إلا أنها مهجورة في غير العراق ، ومعروفة شائعة في لهجة العراقيين هذا اليوم بمعناها اللغوي جاء في المخصص عن أبن الأعرابي : « امرأة متخشلة ، أي متزينة » والآن يقولون (مخشلة) . ويزعم بعض الباحثين أن الكلمة آرامية الأصل ، فالخشل في الآرامية الحلي من ذهب وفضة وحجارة كريمة للزينة ، وفي هذه اللغة الآرامية يقال للصائغ (خشلا) والأرجح ، فيما نرى ، أن كلمة خشل من الألفاظ التي أتفقت فيها اللغتان العربية والآرامية ، فلا داعي لقول من يقول إنها آرامية الأصل وما يقال في هذه الكلمة ، يقال في كثير من الكلمات الآرامية والفارسية والأمهرية (الحبشية) وغيرها ، وهي الكلمات التي أتفقت فيها العربية مع تلك اللغات . والأصل في كل كلمة تدور على ألسنة العرب أن تكون عربية ، حتى يقوم البرهان على خلاف ذلك ، ولا ينبغي التسرع في الحكم على عجمة كلمة بمجرد مقاربتها أو موافقتها لكلمة أعجمية

---

(١) الحوادث الجامعة (٤١٩)   (٢) في النسخة المطبوعة (خستاً شال) ، وهو تحريف

في اللفظ أو في المعنى أو فيهما جميعاً ، فقد يكون أصل الكلمة عربياً ، ثم نقلها الأعاجم الى لغتهم ، مثل (الجمل) ؛ فان هذه اللفظة العربية نقلت الى شتى اللغات الأعجمية ، إذ أن (الجمل) في الأصل من حيوان بلاد العرب وقد يكون للكلمة أصل في أكثر من لغة واحدة ، مثل كلمة (أرض) و (زور) للقوة و (عسكر) و (لشكر) للجيش الى غير ذلك ولبعض المعنيين بالبحوث اللغوية قديماً وحديثاً أوهام غير قليلة في هذا الموضوع . ومجمل القول : اذا وجد في العربية أسماء مقاربة للأسماء الأعجمية ، فليس من الضروري أن يكون أحد الأسمين منقولاً عن الثاني وقد قال بعض أئمة اللغة : « اذا وافق لفظ أعجمي لفظاً عربياً في حروفه ، فلا نرى أحدهما مأخوذاً عن الآخر » والخلاصة إن كلمة الخشل شائعة في لهجة العراقيين هذا اليوم ، كما أنها من الكلمات التي عرفت في لهجة أجدادهم منذ المئتين السابعة والثامنة وقد وردت أكثر من مرة في (كتاب الحوادث الجامعة) ، ففي أخبار سنة ٦٣٦ « دخل جماعة ومعهم ثياب وخشل »[١] ولا يخفى أن لهذه الكلمة أصلها بين المواد اللغوية المدونة في المعجمات

٢٩ — (الخط) : الخط ـ لغة ـ هو الكتابة ، بيد أن هذه الكلمة أُستعملت في اللهجة العراقية بمعنى الرسالة أو الكتاب نفسه منذ القرن السابع وهذا الأستعمال شائع في لهجة العراقيين الدارجة اليوم حيث نراهم يقولون : « ورد خط فلان » ، أي رسالته وفي أخبار سنة ٦٥٢ من كتاب (الحوادث الجامعة) : « وفيها ورد خط أُبن عبد الباقي قاضي واسط من مكة ، يذكر فيه أنه قد عزل نفسه عن القضاء وجاور بمكة »[٢]

(د)

٣٠ — (دربند) : فارسية ، بمعنى المضيق والعقبة وردت كثيراً في أخبار الأتراك والمغول وغزواتهم في الشرق و (الدربندات) ، أو الممرات الجبلية ، أو المضايق والعقبات ، كثيرة في الأقاليم الفارسية والأذربيجانية وفي الأقطار الشمالية وفي تركستان وما الى ذلك ، ومن أشهرها (دربند شروان) و (باب الأبواب) . قال السمعاني في الأنساب : « (البابي)

---

(١) الحوادث الجامعة (١١٨)   (٢) الحوادث الجامعة (٢٧٦)

هـذه النسبة الى (باب الأبواب) موضع بالثغور ، وهي مدينة دربند المعروفة » ، وقال أيضاً : « (الخزري) هذه النسبة الى موضع من الثغور عند سد ذي القرنين ، يقال له (دربند خزران) » ، وقال صاحب (مراصد الاطلاع) : « بـاب الأبواب : مدينـة على البحر من طبرستان ، وهو بحر الخزر ، وربما أصاب البحر حائطها ، وفي وسطها مرسى السفن ، بني على حافة البحر بسدّين ، وجعل المدخل ملتوياً . وعلى هذا الفم سلسلة ، فلا مخرج للسفينة ولا مدخل إلا بأمر وهي ، وهي (فرضـة) لذلك البحر ، وسميت (باب الأبواب) لأنها أفواه شعاب في جبل (القَبْـق) ، فيها حصون كثيرة وهو حائط بناه أنو شروان بالصخر والرصاص ، وعلاه ثلاثمئة ذراع ، وجعل عليه أبواباً من الحديد ، لأن الخزر كانت تعبر فيه الى سـلطان فارس حتى تبلغ همدان والموصل ، فبناه لمنعهم الخروج منه ، وجعل عليـه حفَـظة » قال ابن أبي الحديـد في الفصل القيم الذي عقده لسرد أخبار المغول : « لم يوغل التتار في بلاد الـكرج ، لـكثرة مضايقها ودربنداتها ، فقصدوا دربند شروان [1] » ، وقال أيضاً : « لما فرغوا ، أرادوا عبور الدربند ، فلم يقـدروا عليـه ، فأرسلوا الى شروان ملك الدربند [2] » ومن الدربندات ، دربند مشهور في طريق همدان ، تحصن فيه بعض أمراء الأتراك في خلافة الناصر لدين الله ، ذكره ابن الساعي في (الجامع المختصر) ، ونسبه الى الأمير المذكور قائلاً : « استولى على قلاع في دربنـــد ، وكان أصحابه يقطعون الطريق [3] » ، وجاء في أخبار سنة ٦٤٧ من كتاب (الحوادث الجامعـة) : « نفذت الطلائع ، ومعهم الطيور ، ليخبروا بصورة الحال ، فعادوا ، وأخبروا أن المغول دخلوا الدربند » . والمرجح أن المقصود بهذا الدربنـد مضيق ، أو ممرّ جبال أسـد آباد وهمدان ؛ لأن المغول سلـكوا في غزوهم الواقعة في التأريخ المذكور ، واجتازوا حـدود العراق الى ضواحي بغداد ، طريق همدان وأسـد آباد وخانقين في الذهاب والإياب . وخلاصة القول : هذه الـكلمة مركبة من : (در) بمعنى الباب ، و (بند) بمعنى السدّ

---

(١) شرح النهج (٢/٣٦٣) (٢) شرح النهج (٢/٣٦٣) .

(٣) الجامع المختصر (٨/١٥)

أو المِنطقة أو الضابط ، فيكون معنى الكلمة باب السد أو باب الوادي وما الى ذلك .

وجاءت أكثر حروف هذه المادة الفارسية في كلمة (درب) العربية ، قالوا : هو باب السكة الواسعة والباب الأكبر وكل مدخل الى مضايق بلاد الروم ، قال أمرؤ القيس :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنـا لاحقان بقيصرا

٣١ — (الدروازة) : الدروازة بمعنى الشارع ، فارسية ، عرفت على عهد المغول في العراق . ففي أخبار سنة ٦٧٩ من كتاب (الحوادث الجامعة) : « فيها أمر علاء الدين صاحب الديوان بعمل جسر ، وحمله الى تستر مكملاً بسلاسله وآلاته ، فنصب تحت البند عند دروازة دزفول[1] » والمقصود عند الشارع الأعظم في المدينة المذكورة وهذه الكلمة شائعة الآن في اللهجة الفارسية بالمعنى المذكور

٣٢ — (دروز) : فعل مبني من كلمة (دروازه) ، ومعناه أنه ألف السير في الشوارع . وأستخدمت للدلالة على التكفف ومسألة الناس ، ووردت بهـذا المعنى في جملة من تراجم المتصوفة الذين عُني بالترجمة لهم مؤلف (الحوادث الجامعة) وآخرون من مؤرخي عصر المغول ، جاء في حوادث سنة ٦٣٦ من كتاب الحوادث الجامعة : « وقع من نجم الدين غازي أمر أنكره والده ناصر الدين عليه وأبعده عنه ، فمضى إلى حلب ، وصحب الفقراء ، ودروز معهم في الأسواق ، وحلق شعره . فبلغ ذلك والده ، فأرسل اليه من قبض عليه وحبسه في برج بقلعة تعرف بالبارعية بينها وبين ماردين مسيرة يومين[2] » وفي حوادث السنة المذكورة من الكتاب المشار اليه عن صوفي غريب الأطوار : « كان يستعطي من الناس ، ويدروز ما يقتات به[3] » ، قال الخفاجي في (شفاء الغليل) : « المدروز : السائل[4] » وقد وردت هذه الكلمة مقرونة في الغالب بأخبار المتصوفة أو الدراويش المدروزين

(١) الحوادث الجامعه (٢٧٦)

(٢) الحوادث الجامعة (١١٦) وقد انتهت هذه القصة بانتقام ولد من أولاد نجم الدين غازي الأمير المتصوف المدروز من جده ناصر الدين ، وخنقه ، ونصب نجم الدين مكانه ، واستقامة الأمر له وتجد تفصيل ذلك في الصفحتين (١١٦ ، ١١٧) من الكتاب المذكور .

(٣) الحوادث الجامعة (١١٧) (٤) شفاء الغليل (١٩١)

٣٣ — (دزدار) : فارسية مركبة من : (دز) بالكسر بمعنى حصن أو قلعة ، و (دار) بمعنى ذو أو صاحب ، فهي تعني صاحب الحصن أو محافظ القلعة شاعت هذه الكلمة الفارسية في عصر المغول بهذا المعنى . وورد كثيراً في مؤلفات أبن الساعي ومؤلفات تلميذه أبن الفوطي . قال أبن الساعي : « الأمير محمود الدزدار بقلعة الماهكي : كان أولاً دزداراً بهذه القلعة (البقش كور خر) ، ولما سلمت هذه القلعة الى الديوان أنعم على محمود هذا بالامارة [١] » ومن ذلك يستفاد أن الدزدارية منصب كالإمارة ووصف أبن الفوطي[٢] في معجمه مجاهد الدين قاعاز فقال : « دزدار الموصل » ، يعني محافظ قلعها وفي (كتاب الحوادث الجامعة) : « اتصل بعز الدين أيبك دزدار العمادية [٣] » وفي أخبار سنة ٦٤٠ من الكتاب المذكور : « صدر إربل أبن الصلايا العلوي ودزدار قلعها » ، وجاء أيضاً : « كان دزداراً بقلعة (كره) [٤] » . وحافظ الأتراك من بعد المغول على أستعمال هذه الكلمة حتى عصورهم الأخيرة ، ففي كتاب (گلشن خلفا) : « أنهى أهل المرجاء الى والي بغداد درويش محمد باشا سنة ١٠٤٩ واقعَ الحال ، ورجوا أن تكون ـ يعني المرجاء ـ تابعة لبغداد ، فأشخص اليها عدداً من الجنود وسرداراً ودزداراً ، فضبطت لبغداد »

٣٤ — (الدعوة) : بمعنى الدعاء الى الطعام ، عربية صحيحة . وهي معروفة في لهجة العراقيين هذا اليوم ، ووردت بهذا المعنى في كتاب (الحوادث الجامعة) : « عملت دعوة عظيمة بلغت الغرامة عليها عشرة آلاف دينار [٥] » وفي أخبار سنة ٦٣٤ عن وصول نورالدين أرسلان شاه بن عماد الدين زنكي الى بغداد : « في رابع عشر عمل له دعوة بالمدرسة المستنصرية » .

٣٥ — (دوشاخة دوشخ) : (دوشاخة) كلمة فارسية مركبة من (دو) تعني أثنين و (شاخة) تعني الشق ، ويقصد بها آلة ذات شقين تستعمل للتعذيب . وقد عرفت هذه الكلمة الأعجمية في عصور المغول الأولى ، ووردت في الكتب المصنفة في تأريخهم . وأشتق بعض المؤرخين من كلمة دوشاخة فعلاً مبنياً للمجهول ، فقالوا : (دوشخ) أي عـذب بالآلة

(١) الجامع المختصر (٣٩/٨) . (٢) المعجم (٥/ق٢/ مادة مجاهد الدين / ٨)
(٣) (٤٣١) (٤) (٢٢٢) (٥) الحوادث الجامعة (٧١) .

المذكورة . ووردت هذه الكلمة ومشتقاتها كثيراً في كتاب الحوادث الجامعة ، ولم نجدها في أمثاله من الكتب العربية المصنفة في تاريخ المغول ومن ذلك ما جاء في أخبار سنة ٦٦٠ من (كتاب الحوادث الجامعة) عن نكبة مجد الدين صالح بن الهذيل ملك واسط : « طولب بالبقايا وشدّد عليه ثم دوشخ » ، وفي أخبار سنة ٦٨٠ عن محنة علاء الدين الجويني : « سلم الى الصاحب مجد الملك ، ودوشخ ، وألقي تحت دار السنّاة » ، وفي أخبار السنة نفسها عن سيرة مجد الدين صالح بن الهذيل : « أخذ ، ودوشخ ، وطولب بأموال واسط » ، وفي أخبار سنة ٦٨٢ عن محنة مجد الدين محمد بن الأثير : « أحضر ، ودوشخ ، ووكل به أياماً كثيرة » ، وفي أخبار سنة ٦٨٣ ، وهي السنة التي أكثر فيها الطاغية أرغون من الانتقام والتنكيل بأنصار عمه السلطان أحمد تكدار بن هولاكو وفعل بهم الأفاعيل وقبض نوابه وأعوانه على جماعة من حزب السلطان أحمد وفيهم بعض آل الجويني ، وفي هذا الصدد يقول مصنف (الحوادث الجامعة) : « قبضوا على خواجه هارون صاحب الديوان وجماعة آخرين ، فأخذ هؤلاء ، ووكل بهم ، ودوشخوا ، ثم أخرج نظام الدين بن قاضي البندنيجين من الغد في (دوشاخة) وقد سود وجهه وأركب على بهيم ، وقبض على محمد بن بصلا وكيل الديوان ودوشخ أيضاً » ، وفي أخبار سنة ٦٨٦ : « طولب نجم الدين كاتب الجريد بالحساب ، ودوشخ على بقايا وجبت عليه » ، وفي أخبار سنة ٦٨٧ : « ضرب الزين الحضائري عميد بغداد ودوشخ ، فأدّى مالاً كثيراً ، وباع أملاكه وأسبابه ، وقام بما تخلّف عليه من ضمان الحلة » ، وفي أخبار سنة ٦٩٤ عن محنة فخر الدين بن الطرّاح صدر واسط والبصرة : « قبض عليه وعلى أصحابه ، ثم دوشخ ، وطُوّق ، وأسمع كل قبيح » هذا ما جاء في (كتاب الحوادث الجامعة) عن هذه الكلمة الدخيلة ، أعني « دوشاخة » وما أُشتق منها ويلاحظ في سرد الحوادث المذكورة آنفاً أن حوادث التعذيب بهذه الآلة جرت على الأكثر في أيام الطاغية الأهوج أرغون الذي أستأصل آل الجويني وغيرهم من أقطاب الحزب الإسلامي في الدولة المغولية .

(ر)

٣٦ — (الربعة) وتجمع على ربعات : هي في الأصل جونة العطار ، وأستعملها المولدون كثيراً بمعنى صندوق أجزاء المصحف . وهذا الصندوق معروف متداول الى الآن في

العراق وغيره من الأقطار الاسلامية وكانت المصاحف تكتب على طريقتين : الأولى الطريقة الجامعة ، وهي أن يكتب المصحف الشريف بمجموعه كما هو المتعارف ، ويسمى هذا الشكل الجامع . والثانية طريقة أتبعت بعد ذلك ، وهي أن يكتب المصحف جزءاً جزءاً ، ويجلد كذلك حيث توضع الأجزاء في صندوق ، وهذه هي الربعة التي تشاهد أو تحمل على الرؤوس في الحفلات الدينية وما اليها وردت أكثر من مرة في كتاب (الحوادث الجامعة) ، من ذلك ما جاء في أخبار سنة ٦٣١ : « نقل في هذا اليوم الى المدرسة من الربعات الشريفة والكتب النفيسة » ، وفي أخبار سنة ٦٤٠ : « فرقت الربعة الشريفة وقرئت » ، وفي أخبار سنة ٦٤٨ من الكتاب المذكور : « عمل ضريحاً وصندوقاً ، وجعل في التربة فرشاً وربعة وقناديل » ، وفي أخبار سنة ٦٩٦ : « جلسوا على عادتهم والربعات الشريفة بين أيديهم » ، الى غير ذلك . وفي أخبار سنة ٧٢٥ من تأريخ أبن الوردي[1] نبذة عن غرق بغداد ، وهو من أعظم حوادث الغرق فيها[2] ، جاء في النبذة المذكورة : « ودار الناس في الأسواق مكشفة رؤوسهم ، وعمائمهم في رقابهم ، والربعة الشريفة على رؤوسهم ، وهم يتلون ويستغيثون ويودع بعضهم بعضاً خائفين وجلين » .

قال الأصبهاني : سميت ربعة لكونها في الأصل ذات أربع طاقات ، أو لكونها ذات أربع أرجل . قال خلف بن خليفة :

وقد كان أفضل ما في يديك ... محاجم نضدن في ربعة

قال الصاغاني : وأما الربعة بمعنى صندوق فيه أجزاء المصحف الكريم ، فان هذه مولدة لا تعرفها العرب ، بل هي أصطلاح أهل بغداد[3] . وكأنها مأخوذة من الأولى ، أي من الربعة

(١) (٢/٢٧٧) ط مصر

(٢) يستفاد من وصف غرق بغداد في طغيان دجلة سنة ٧٢٥ ، كما جاء في تأريخ ابن الوردي المذكور ، أن الماء أحاط بالبلد احاطة السوار بالمعصم ، وتعذر مبارحة بغداد ، وحوصر سكانها وقد عبر عن إحاطة الماء ببغداد بقوله : « أصبحت بغداد كلها جزيرة في وسط الماء » ، ويستفاد من هذا الفصل أيضاً غرق جميع الترب ــ يعني المقابر ــ والبساتين والأسواق والميادين ، وسقطت مدرسة الجعفرية ومدرسة مشهد عبيد الله وخزانة الكتب التي كانت بها وكانت خزانة ثمينة ، وغرق خلق كثير راجع تاريخ ابن الوردي ص ٢٧٧

(٣) هذا ما قاله الصاغاني عن كلمة الربعة وأنها اصطلاح لأهل بغداد ، ولهذه الكلمة أمثال في منطق البغداديين والبصريين ونظائر من الألفاظ المولدة نراها في تضاعيف كتب اللغة ، فكم قالوا لنا : هذه لفظة عراقية وهذه كلمة سوادية وهذه لغة بغدادية وهذه لهجة بصرية إلى غير ذلك ، ومن الكلمات البغدادية التي=

بمعنى الجونة ، واليه مال الزمخشري في (الأساس) .

وفي العراق أستعملت بعد ذلك (الختمة) بمعنى (الربعة) ، وأصلها من ختم الشيء أي أنهاه ، ومن ذلك ختام الشيء وخاتمته وقد جروا في ذلك على عادتهم في تحويل المصادر الى أسماء أعيان ، ومن ذلك قولهم : « ختمة » للربعة ، جاء في (كتاب فرحة الغري) ما يأتي : « أحضرت الختمة الشريفة ، وأقسمت بها[1] » ، وجاء أيضاً في الكتاب المذكور : « تحريك الختمة الشريفة بالزاوية من القبة[2] » ، وفي أخبار سنة ٦٣٣ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « حضر قراء الديوان ، وقرئت الختمات » ، وفي أخبار سنة ٦٣٤ من الكتاب المذكور في صدد ذكر وصول نور الدين أرسلان شاه بن عماد الدين زنكي صاحب شهرزور الى بغداد ، جاء ما يأتي : « في رابع عشر عمل له دعوة بالمدرسة المستنصرية ، وحضر اليها ، وجلس على طرف إيوانها الصغير ، وفرقت الربعات ، وقرئت الختمات[3] » ، وفي أخبار سنة ٦٥٣ : « حضر بالرباط ، وقرئت الختمة » وقد تطلق هذه اللفظة في كلام المولدين المتأخرين على حفلة المولد مولد خاتم الأنبياء (ص) ، وهي من المولد الحديث في اللهجة العربية أو العامية (الشائعة) ، وما زالت معروفة في لهجة العراقيين مثل كلمة الربعة

٣٧ — (الرجل) : الرجل ـ لغة ـ مقابل المرأة . وفي لغة العراقيين الشائعة اليوم يعنى به الزوج أحياناً ، يقولون : هــذا رجل المرأة بمعنى زوجها . ويستفاد من كتاب (الحوادث الجامعة) أنها لهجة قديمة عرفت في أواخر العصور العباسية وما بعدها . جاء في الكتاب المذكور : « وهو بيمينه رجل بنتها » ، يعني زوجها وفي (الصحاح) : زوج المرأة بعلها ، وزوج

= لاتعرف في كلام العرب (القراح بمعنى البستان) ، ومن ذلك (قراح ظفر) و(قراح أبي الشحم) الى أقرحة أخرى ذكرها ياقوت في معجم البلدان والجوخان : قال اللغويون : « الجوخان للتمر بلغة أهل البصرة كالكدس للحبوب » وكلمة (وفر) بمعنى الثلج ، وكلمة (دبس) للشدي : كلتان عراقيتان مولدتان ليس لها أصل في الفصحى على ما قالوه وكلمة (سـابل) للغرارة التي تعمل من خشب أو خوص أو أغصان الشجر ، وتجعل على ظهر الدابة تحمل عليها الحجارة ، قالوا : إنها سوادية ومن هذا القبيل كلمة (شبنت) للبقلة المعروفة قالوا : انها بغدادية ، وأمثال ذلك كثير ولا تخلو مصنفات الجاحظ من كلمات ومصطلحات بصرية لا أثر لها في فصيح اللغة

(١) (١٣٣) (٢) (١٣٥) (٣) (٨٩) .

الرجل أمرأته وفي (المُغرب) : هو زوجها وهي زوجه هذا ، وفي هذه اللفظة وهل تكتب بالتاء فيقال (زوجة) أو لا يجوز ذلك قولان للغويين : ففي (أدب الكاتب) وشرحه للجواليقي إنهم لا يكادون يقولون زوجته ويذهب بعضهم إلى ورودها بالتاء قال صاحب (المُغْرب) : والأول هو الأختيار ، بدليل ما نطق به التنزيل : « أمسك عليك زوجك » « أسكن أنت وزوجك الجنة » « وإن أردتم أستبدال زوج مكان زوج » وأدعى غيره أن الزوجة لغة ردّية . وقال آخرون إنها واردة في الحديث فاذا صح ذلك ، لم تكن لغة رديّة وقال العسكري [1] : الفرق بين البعل والزوج أن الرجل لا يكون بعلاً للمرأة حتى يدخل بها ، وذلك أن البعال النكاح ، ومنه قوله عليه السلام : « أيام أكل وشرب وبعال » ، قال الشاعر :

وكم من حَصانٍ ذات بعلٍ تركتها إذا الليل أدجى لم تجد من تُباعله

وأصل الكلمة القيام بالأمر ، ومنه يقال للنخل اذا شرب بعروقه ولم يحتج الى سقي (بعل) ، كأنه يقوم بمصالح نفسه

٣٨ — (رفيع — بمعنى دقيق) : الرفيع — لغةً — ضد الوضيع ، يقال « شرف رفيع صوت رفيع . قدر رفيع » ، ورافعني وخافضني : داورني كل مداورة ، وفرش مرفوعة : رفع بعضها فوق بعض هذا ما نراه في فصيح الكلام ، وتعني « الرفيع » في اللهجة الشائعة في العراق وفي بعض الأقطار العربية « الدقيق » ، خلاف الغليظ ، يقولون « خيط رفيع . وعود رفيع ، نسيج رفيع » ، ويجمع على رفاع ولا شك أن هذا من كلام المولدين ، ومع ذلك ورد في بعض المعجمات اللغوية والكتب الأدبية . وفي (قاموس) الفيروز آبادي : « ثوب كتان رفيع [2] » ، وبهذا المعنى وردت في (أدب الكاتب) و (مقامات الحريري) . وفي (المصباح) : « رفع الثوب ، فهو رفيع ، خلاف غليظ » . وفي (الأساس) : « ثوب رفيع » . وفي (شفاء الغليل) : « رفيع أي رقيق ، يقال ثوب رفيع بمعنى صفيق » . وأستعمله بهذا المعنى صاحب أدب الكاتب والحريري ، ونبه عليه بعض الشراح ، ثم قال الخفاجي : وعليه الأستعمال الآن ، ولعله مجاز هذا ، ويلاحظ

(١) ٢٣٤

(٢) راجع مادة (بندق) في القاموس ، فقد جاء فيه : « البندقي : ثوب كتان رفيع ، نقلا عن الصاغاني » .

ورود هذا الاستعمال في شعر قدماء العرب المتقدمين على عصر الحريري ، ومن ذلك قولهم :

بالعبقري وبالديباج نحمله وكل ثوب رفيع وشيه حسن (1)

وجاء في أخبار سنة ٦٤٢ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « حصر بصرية وسجادة رفيعة (2) » يعني سجادة دقيقة . ويلاحظ أن هذا الاستعمال شائع في لهجات الأقطار العربية اليوم ، لا في العراق حسب والغالب أنهم ينظرون فيه الى مادة الرفعة والارتفاع ، فان قولهم « سقف رفيع » يستدعي تصويب النظر بدقة كما يصوب الى النسيج الرفيع ، أي الدقيق ، فهو ضرب من المجاز أما السجادة الواردة في عبارة صاحب (الحوادث الجامعة) ، فهي في الأصل فراش يصلى عليه ، ثم عمّ إطلاقها على ضرب من البسط أو الطنافس يفرش في البيوت ، وهي شائعة في أكثر اللهجات العربية بالمعنى المذكور

(٣٩) — (الركبدار الركبدارية) : جاء في أخبار سنة ٦٣٦ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « وفيها شرع في عمل تربة ورباط في البستان المعروف قديماً ببستان سنقر الركبدار » ، وفي أخبار سنة ٦٤٤ من الكتاب المذكور (3) : « تُوفّي الشيخ محمد الركبدار ، خدم في مبدأ أمره مع ركبدارية الأمير قشتمر ، ثم خدم ركبدار الخليفة الظاهر » ولهذا الشيخ الركابدار حديث يستفاد منه ما أنتهت اليه لهجة الخلفاء العباسيين المتأخرين من العجمة ، حتى يخيل اليك أن دار الخلافة أصبحت برج بابل من حيث أضطراب اللهجات ، ويلاحظ أن اللهجة العربية كانت يومئذٍ من أضعف اللهجات في دار الخلافة (4) . والكلمة من التراكيب الأعجمية التي كثر أستخدامها بعد غلبة الدول الأعجمية ويستفاد مما ورد في كتاب (التعريف بالمصطلح الشريف) لابن فضل الله العمري وصبح الأعشى للقلقشندي (5) « أن الركابدارية هم الذين يحملون الغاشية بين يدي السلطان في المواكب الكبرى ،

(1) مجموعة المعاني (٢١٧) (2) الحوادث ١٩٣ (3) (٢٢٠ — ٢٢١) .

(4) قال الشيخ محمد الركابدار في حديثه : خلوت يوماً بالخليفة المستنصر وهو مسرور بباسطي ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، عندي أمر ، وأشتهي أن تأمرني بالسؤال عنه . فقال : قل ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، تدعوني تارة بالشيخ محمد فأطير فرحاً ، ومرة تقول أي ركابدار فأموت غوفاً ! فقال : لا والله يا شيخ محمد ، ما لك عندنا إساءة ، وأنا متى كنت على غير طهارة أقول : أي ركابدار ، إجلالا لذكر اسم النبي عليه الصلاة والسلام

(5) (٤/٧ ، ١٢)

وهم من مستخدمي (الركاب خانه) ، والركاب خانه هو بيت الركاب الذي توضع فيه عدد الركائب والخيول من السروج والغواشي والكنابيش وجميع لوازم الركائب والخيول ، ويقوم عليهم موظف مسؤول عن شؤونه يقال له (مهتر الركاب خانه) والمواكب التي يظهر بها هؤلاء الركابدارية هي مواكب جلوس السلاطين ، أو صلاة العيدين ، وغير ذلك من الحفلات الكبرى . أما الغاشية ، فانها غاشية سرج من أديم ، مخروزة بالذهب ، تحمل عند ركوب السلطان في المواكب الجليلة ، يحملها أحد الركابدارية رافعاً لها على يديه ويلاحظ أن لكل موكب من تلك المواكب ترتيباً مخصوصاً . والعرب لايطلقون لفظ (الراكب) الا على راكبي الإبل ، ويسمى راكب الفرس (فارساً) في العربية . وأمثال هذه الكلمة ، أعني الركبدار المركبة على الأساليب الأعجمية ، كثيرة جداً في كتب الأدب والتاريخ المصنفة في عصور الدول الأعجمية من الأتراك والمغول والفرس والمماليك ، ومن ذلك : « دفتردار . ودفترداريه . خزندار . خزندارية بمعنى الصراف أو الجهبذ ويقال له (المحاسبجي) في أصطلاح الأتراك . بيرقدار بيرقدارية . سنجقدار سنجقدارية ، ولا يخفى أن السنجق والبيرق من الكلمات الدخيلة . سلاحدار سلاحدارية . محفدارية (لأصحاب المحفات) » ، وغير ذلك كثير .

٤٠ — (الروزكارية أو الروزجارية) : فارسية ، تعني العمال المياومين ، أي الذين يتقاضون أجورهم مياومة وهي مركبة من : كلمة (كار) كسب ، عمل ، صناعة يرتزق بها ؛ و (روز) بمعنى اليوم . كثر أستعمال هذه الكلمة الأعجمية في أواخر العصور العباسية وأوائل عصور المغول في العراق ، ولم تعرف في صدر الدولة العباسية مطلقاً وكانوا يسمون الروزكارية (فَعَلة) محركة . جاء في (القاموس) : « والفعلة : صفة غالبة على عملة الطين والحفر ونحوه » . ومن هذا النص يستنتج جواز أُستعمال كلمة (عَمَلَة) بهذا المعنى ، وهي معروفة في لهجة العراقيين الآن . ووردت كلمة الروزكارية كثيراً في كتب المؤرخين المتأخرين وفي أخبار سنة ٦٣٢ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « أحضروا روزكارية لبلّ الطين » . وفي (كتاب مناقب بغداد) لأبن الجوزي : « كان الأستاذ يعمل يومه بقيراط إلى خمس حبّات . والروزجارية بحبتين

إلى ثلاث حبات » . ولا تعرف هذه الكلمة الآن في لهجة العراقيين ، والشائع كلمة (عملة) (وعمال) في اللهجة المذكورة

(ز)

٤١ — (زركش) : فارسية ، تعني تارةً المصنوع بالذهب ، ومرة صناعة التذهيب أو الذهب شاعت هذه الكلمة كثيراً في عصر المغول ، ففي ترجمة عز الدين الحسن بن الحسين نزيل تبريز من (معجم ابن الفوطي) : «كان يتعانى صناعة النقش وخياطة الزركش [1] » ، وفي (كتاب الحوادث) : « جملة من زركش ومصاغ [2] » ويكثر استعمال هذه الكلمة في مصنفات مؤرخي عصر المماليك والأتراك والمغول ، وهي الشائعة في لهجة الإيرانيين ، ولا تعرف في لهجة عرب العراق اليوم

(س)

٤٢ — (الساذجية) : استعملت في (كتاب الحوادث الجامعة) بمعنى البساطة ، ففي أخبار سنة ٦٤١ من الكتاب المذكور ما يأتي : « له حكايات كثيرة تدل على الساذجية [3] » ، ولم نرها مستعملة بهذه الصيغة ، أي بياء النسبة ، في كتاب آخر وهي من قولهم (رجل ساذج) بمعنى غير متلون ، ومنها الساذجية ولا بد لنا من القول : إن العرب لايعرفون من كلمات النسبة إلاّ المنسوب إلى بلده ، أو قومه ، أو حرفته ولما نقلت العلوم الى العربية في عهد الدولة العباسية ، اضطر النَّقلة المولدون إلى استعمال نوع جديد من صيغ النسبة في كلمات كثيرة ، ولا سيما ما يتعلق منها بالمصطلحات العلمية والفنية ، فقالوا : « قابلية ماهية . هوية . خاصية . عامية . أهلية جاذبية عرفية . فردية » إلى غير ذلك . ويقولون : (جراية خليفية) و (الحرية) نسبة إلى الحر ، لكن ياء النسبة فيها مَصدرية ، أي لإفادة المصدر . فالحر هو الرجل الكريم ، والحرية كرم الأصل أو الأخلاق ولفظة (الساذج) واردة أيضاً في الكتاب المذكور ، ففي أخبار سنة ٦٤٩ ما يأتي : « وفيها تُوُفّي محمد بن أبي الفرج ابن رئيس الرؤساء ، وكان رجلاً ساذجا سليم الصدر [4] » . هذا ، والساذج في الأصل ما لا يخالطه غيره ، وهو معرب (سادَهْ) ،

(١) المعجم (٤/مادة عز الدين)
(٢) الحوادث الجامعة (١٩٤)
(٣) الحوادث الجامعة (١٨٩)
(٤) المصدر المذكور (٢٥٦)

أي مالا نقش فيه، وما يكون على لون لايخالطه غيره . ومن أقوال الفرس : (سادَهْ دِلْ) أي سليم القلب ، ويقولون (صاف سادَهْ) بهذا المعنى. ويستعمل هذا الأصل الفارسي الآن في اللهجات العربية الشائعة في العراق ومصر والشام ، فيقولون (قماش سادَهْ) ، ولا يقولون (ساذج) ، وفي مصر يقولون (قهوة سادَهْ) اذا كانت بدون سكّر هذا ، وقد أُستعمل بعض المترسلين لفظة (السذاجة) بمعنى السهولة وحسن الخلق ، وبعضهم أُستعملها بمعنى البساطة فقالوا (ساذج بسيط) .

ولا بد لنا من القول إن أُستعمال كلمة البسيط وكلمة البساطة بهذا المعنى ، لا يعرف في الفصيح ، وإنما ورد في كلام المولدين ؛ لأن البسط خلاف القبض في اللغة ويقولون (بسط المتاع وبسط الفرش) أي نشرها ، والبسيط معناه الواسع في كلامهم ، ويقولون كتاب أو مصنف بسيط أي واسع كبير وفي (مفردات الراغب) : البسط النشر والتوسع ، تارة يتصور فيه الأمران ، وتارةً يتصور فيــه أحدهما وأستعمار قوم البسـيط لـكل شيء لا يتصوَّر فيه تركيب وتأليف ونظم . والأنبســاط معناه السرور ، و (المبسوط) في لهجات الشام ومصر خاصــة المسرور ، ولذلك أصل في الفصيح . وأدعى بعضهم أنه مولد ، مع أنه ورد في الحديث وكثر أُستخدام لفظة البسيط والبسائط بهذا المعنى الأُصطلاحي أو المولد في كتب الفلسفة والـكلام والتصوف والمنطق [1] ، فقالوا : « الجهل البسيط ، والجهل المركب ، والحقائق البسيطة ، والقضية البسيطة ، والقضية المركبة ، والجواهر البسيطة ، والعناصر البسيطة » ويقول بعض المتفلسفين : البسيط ثلاثة أنواع : (بسيط حقيقي) وهو ما لا جزء له أصلاً ، كالباري تعالى ، و (بسيط عرفي) وهو ما لا يكون مركباً من الأجسام المختلفة في طبائعها . و (بسيط إضافي) وهو ما تكون أجزاؤه أقلّ بالنسبة الي الآخر والبسيط من ناحية أخرى ، على ما يقولون ، قسمان : (روحاني وجسـماني) . (فالروحاني) كالعقول والنفوس المجردة ، و (الجسماني) كالعناصر والجواهر الى غير ذلك . وبناء على كثرة أُستعمال هذه المادة في هـذه المعاني المحدثة ، فلا مندوحة لنا من قبولها بمعناها المولد الحديث وخلاصة القول : شاعت كلمة البساطة وما أُشتق من هذه المادة المولدة

(١) يراجع بحث عن البسيط والمركب ومدلول هاتين الـكلمتين في مصطلحات الفلســفة وعلم الـكلام في الصفحه (٩٨) من كليات أبي البقاء .

بهذا المعنى في جميع اللهجات العربية ، لا في العراق حسب ، فلا مناص لنا والحالة هذه من أستساغتها ، لأتفاق جميع اللهجات على أستعمالها كما رأيت

٤٣ — (سبيلدارية وسبيلداريات) : تكرر ورودها في (كتاب الحوادث الجامعة) في مَعْرِض البحث عن حجّ البيت فالمكلف بالحج إما أن يؤدي الفريضة بنفسه ، أو يستنيب شخصاً آخر يحج عنه أو عن غيره من الأشخاص أحياء أو أمواتاً ، أي أنه يحج في سبيلهم . وهذا ما يراد بلفظ (السبيلدارية) أما (السبيلداريات) فهي حجّات تؤدى بواسطة النواب بأجر يتفق عليه ، ورد في (الحوادث الجامعة) : « وقع التعيين على السبيلدارية ، فرتب أبو القاسم بن كلاله التاجر في سبيل الخليفة المستعصم بالله[1] » ، أي أنه أستنيب في الحج عنه . وجاء أيضاً في الكتاب المذكور : « حجّ ... في سبيل أم المستعصم[2] » وجاء في مكان آخر : « حجّ مراراً مع والده ، ومنفرداً ، متولياً بعض السبيلداريات[3] » ، أي الحجّات التي تؤدى بطريق الأستنابة ، وهي ـ أي الاستنابة ـ معروفة في اللهجة العراقية الشائعة الآن . هذا ، وللفقهاء بحوث فقهية في قضاء الحج نيابة عن شخص مكلف به حياً كان أو ميتاً ، مع بيان شرائطه وأحكامه ، يحسن مراجعتها في موضعها من الكتب الفقهية

كثر أستعمال هذه الألفاظ في آخر عصر من عصور الدولة العباسية . وهكذا شاعت العجمة في دار الخلافة ، لكثرة من يقطنها من الأعاجم مماليك ومستخدمين ، حتى تأثرت لهجة الخلفاء المتأخرين ولهجة رجال الديوان بهذه العجمة الشائعة ، وكانت اللهجة العربية المحكية من أضعف اللهجات في ذلك الحين .

٤٤ — (سربوش ، ويقال أيضاً شربوش) : كلمة دخيلة من الفارسية ، معناها غطاء الرأس ؛ لأن (سَرْ) بالفارسية تعني الرأس ، و (بوش) تعني الغطاء . ورد ذكرها كثيراً في كتب التاريخ المصنّفة في العصور العباسية الأخيرة وعصور الأيوبيين والمغول

(١) الحوادث الجامعة (١٧٤) (٢) المصدر المذكور (٤٢٧)
(٣) المصدر المذكور (٢١٤)

والأتراك جاء في حوادث سنة ٦٠٤ من (الجامع المختصر) لابن الساعي: «وكان يركب بالسربوش». وجاء في أخبار سنة ٦٣٣ من (كتاب الحوادث الجامعة): «خلع عليه خلعة أحضرت من المخزن، وهي قباء أطلس وسربوش»، وفي أخبار السنة نفسها: «خلع عليه قباء أطلس وسربوش شاهي[1]»، ولم يوصف السربوش بالشاهي في غير هذا المكان من كتاب الحوادث الجامعة أو غيره من كتب التاريخ. وفي أخبار سنة ٦٤٠ من (كتاب الحوادث الجامعة): «تقدم أن يرفع القضاة والمدرسون الطرحات والمدول الطيالسة، وأرباب الأزر أزرهم، وأصحاب المشاد مشادّهم، وأن يركب الزعماء بالأقبية البيض و (السرابيش)، وأرباب الدولة كل مهم بقميص أبيض وبقيار[2] أبيض وغاشية» وهذه الجملة وردت في فصل عقده مؤلف (الحوادث الجامعة) في مَمْرِض وصف الاحتفال بنقل رفات المستنصر من مدفنه بدار الخلافة الى الترب بالرصافة، وهو احتفال كبير شارك فيه مختلف طبقات البغداديين وأرباب الدولة. ومن وصف هذا الاحتفال وما جرى فيه، يستفاد أن العباسيين اتبعوا نظاماً خاصاً للألبسة في حفلات الدولة الرسمية هذا، ويظهر أن السربوش كان شعار الزعماء والأمراء ورجال الديوان والدولة وقادة الجيش، خصوصاً اذا كانوا من الأتراك، كما أن العمائم كانت أزياء خاصة برجال الدين والقضاة في العصر المذكور. قال الملك الأمجد من بني أيوب:

له نظرات كرر الحقد شزرها ... لما ضمنته نفسه من سخائم

فما الفضل في أهل (الشرابيش) سبّة ... ولا العلم مخصوص بأهل العمائم

ويستفاد من ذلك أن زي أصحاب العمائم يختلف عن زي أصحاب الشرابيش. ويقول بعض الباحثين من الافرنج إن السربوش قلنسوة طويلة، ويلبس بدل العمامة. وكان شارة للأمراء، فلا يلبسه رجال العلم. وقد ألغي استعماله في مصر زمن المماليك البرجية ويقول المقريزي في (المواعظ والاعتبار[3]): «وأما الخلع السلطانية، فإن السلطان كان اذا أمّر أحداً من الأتراك ألبسه الشربوش، وهو شيء يشبه التاج كأنه شكل مثلث، يحمل على الرأس من غير عمامة. وقد

---

(١) الحوادث (٧٩) (٢) راجع حرف الباء (٣) (٢/٩٩).

بطل الشربوش في الدولة الجركسية » يعني أستعمال رجال الدولة له ولكنه بقي مستعملاً لدى غيرهم من الطبقات . ولا شك أنهم تفننوا بعد ذلك وقبل ذلك في صنع الشرابيش ، فمنها أنواع ثمينة ، ومنها أنواع رخيصة ، ومنها نوع مطرز بالحرير أو منسوج بالذهب وهو خاص بالنساء ، أو بالعرائس منهن ، يتوجن به ليلة الزفاف كما يظهر من وصف بعض حفلات الزفاف بالشام في القرن العاشر ؛ إذ لا تجلى العروس ولا تزف إلّا وعلى رأسها شربوش مصنوع بدقة وعناية . وقد عقد أديب شامي فصلاً في وصف حفلات الزفاف في دمشق وما يحصل فيها من التبرج ، وذلك في أوائل المئة العاشرة ، ومما جاء في هـذا الفصل قوله : « ثم تخرج العروس هي وماشطتها في شيء يقال له شربوش » والذي يظهر لي ، والعلم عند الله ، أنه وما في معناه مما ظهر في زماننا وتلبسه النساء على رؤوسهن ، يسمونه (المقنزع [1]) » . ومما يدل على أن الشربوش كان لباس رجال الجيش خاصة ، وأنه كان يربط على الرأس بكلاليب توضع على الرقبة ، ما رواه صاحب (كتاب فرحـة الغري) من وصف سرية أرسلها أحد أمراء الحلة الى البـادية بطريق النجف ، إذ قال أحد سكان المشهد ما يأتي : « خرجت بعد رحيلهم الى ذلك الموضع ، فوجدت كُـلاّبي سربوش ملقاة في الرمل » ، وقال أيضاً : « خرجت معهم الى المقبرة ، واذا برجل تركي يفتش موضعاً لقيت الـكلا بين فيـه ، فقلت لأصحابي : إن ذلك يفتش على كلاّبي سربوش ، وهما معي في جيبي » ، وقال أيضاً : « سلمت على التركي ، فقلت : ما تفتش ؟ قال : أفتش على كلاّبي سربوش [2] » هذا ما ورد عن السربوش في هذه الرواية ، ويستفاد منه أن السربوش كان زياً لرجال الجيش ومن اليهم في العراق في أواخر عصور العباسيين وعصور المغول بعد ذلك ، كما كان زياً لرجال الجيش والدولة في عصر المماليك الأوائل في مصر والشام . ولاشك عندنا أن كلمة شربوش حرفت بعد ذلك الا (طربوش) في اللهجات العربية .هذا ، وأحسن كلمة عربية تؤدي معنى السربوش ، (الـكمّـة) ، وهي من (كَمّ الشيء) اذا أخفاه أوغطاه .

(١) (نسمات الأسـحار في نبذ من كلمات الأولياء والأخيار) لعطيـة بن حسن الملقب بعلوان الحموي ، مخطوطة بعض مؤسسات الأوقاف بدمشق وراجع مادة (قنزع) في معجمات اللغة ، ففي مشتقاتها ما يقوم مقام كلمة (سربوش)

(٢) فرحة الغري ط النجف ، الثانية (١٢٥)

٤٥ — (سرخيل) : جاء في أخبار سنة ٦٣٧ من (الحوادث الجامعة [١]) : « جعله سرخيل جماعة من المماليك » ، أي قائد جماعة من فرسانهم وقد مرّ أن كلمة (سر) تعني الرأس بالفارسية ، يضاف اليها ما بعدها فيقال « سردار سرهنك . سرتيب سربوش ... الى غير ذلك » ، ولا يوجد هذا التركيب المزجي (سرخيل) في موضع آخر من هذا الكتاب ، ولم نعثر عليه في أمثاله من الكتب التاريخية ، ولا تعرف هذه الكلمة أيضاً في اللهجات العربية والأعجمية الشائعة هذا اليوم

٤٦ — (سرهنكية) : لفظة فارسية ، تعني قديماً الأعوان المرافقين أوالجلاوزة ، ويعنى بها حديثاً في بلاد فارس رتبة عسكرية . وقد شاعت هذه اللفظة في بعض تواريخ الدول التركية والفارسية قديماً و حديثاً وفي الكتب المعنية بتاريخ المغول ، مثل (كتاب الحوادث الجامعة) وغيره ، وكثر ورودها في (كتاب سيرة جلال الدين منكبرتي) للنسوي ، ومن ذلك : « أتاها بعض سرهنكية جنكيز [٢] » ، وفي هذه السيرة أيضاً : « كان من جملة سرهنكيته [٣] » أي قواده ويكثر ورود هذه الكلمة بصيغة الجمع ، ومفرده (سرهنك) ، فقد ورد في الكتاب المذكور [٤] : « كان سرهنكاً ، فلقبوه ملكاً » ، الى غير ذلك . وفي أخبار سنة ٦٦٨ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « لحقه السرهنكية ، فضربوه بالدبابيس » ، وفي هذا الخبر من الكتاب المذكور : « انهزم كل من كان بين يديه من السرهنكية » هذا ما ورد في سيرة النسوي وفي كتاب الحوادث الجامعة من موارد أستعمال هذه اللفظة ، ويستفاد من ذلك أنها كانت شائعة في دواوين الدول التركية والمغولية ، ولم تستعمل إلّا قليلاً في لهجة العراقيين ، ولا أثر لها في لهجهم هذا اليوم .

(ش)

٤٧ — (الشحنكية) : شحنة البلد هو المكلف بضبطها من جهة السلطان . وفي عصور الدول الأعجمية أو المستعجمة أختاروا صيغة النسبة للتعبير عن وظيفة الشحنة المذكور ، فقالوا (شحنكية) ، وشاع أستعمالها بهذا الشكل في أواخر العصور العباسية وما بعد ذلك من عصور

(١) (١٣٢) . (٢) (٩٧) (٣) (١٠٧) (٤) (١١٧)

المغول ، وأُستعملت فيما يقابل (مديرية الشرطة) أو (مديرية الدرك) هـذا اليوم قال في (الحوادث الجامعة) : « عزل أبن غزالة المدائني عن النظر بواسـط ، وولي الأمير بكتيمر الناصري شحنكيها[1] » ، وقال في مكان آخر : « ولي الأمير سراج الدين سرابه الناصري شحنكية البصرة[2] » ، وفي موضع ثالث يقول مؤلف الكتاب : « أعيد تتارقيا الى شحنكية بغداد[3] » . ومما يدل أيضاً على شيوع أستعمال هذه الكلمة في أواخر عصور الدولة العباسية ، ما جاء في (الجامع المختصر) لأبن الساعي[4] عن الأمير خطلبا من أمراء الخليفة الناصر لدين الله : « أعطي دزدارية تكريت ، فبقي بها مدة ، ونقل الى شحنكية البصرة » هذا ، وكلمة الشحنة معروفة في لهجة العراقيين هذا اليوم ، وفي لغة الدواوين أيضاً ، ويجمعونها على شحانٍ ، ولكنهم يعنون بها فريقاً من الوكلاء والنظار

٤٨ — (الشدّة بمعنى الحزمة) : الشدّة (بالفتح) : الحملة في الحرب شدّ عليه : حمل والشدّ : العدْو ، والشدّ : التقوية . هذا معنى كلمة الشدّ والشدّة في الفصيح أما في اللهجة العامية العراقية الشائعة الآن ، فان لفظة (الشدّة) تعني الحزمة ، وهم يقولون : « شدة عيدان شدة قصب . شدة حطب » وما إلى ذلك . وهذا الأستعمال ليس جديداً في لهجة العراقيين ، بل هو قديم ، عرفناه في لهجة أجدادهم الأولين ، وقد حافظوا على اللهجة المذكورة جيلاً بعد جيل ، ففي أخبار سنة ٦٤٨ من كتاب (الحوادث الجامعة) : « فيها أنفذ الخليفـة الى الوزير شدة أقلام[5] » هذا ما ورد في الكتاب المذكور ، فكأنها أستعارة من الشد أي التقوية

٤٩ — (الشربة — بمعنى الجرّة) الشـربة في الأصل الحسوة ، أو الجرعـة من الماء ، والنخلة تنبت من النوى . والشربة أيضاً ، وتجمع على شَرَبات ، الحويض يحفر حول النخلة أو الشجرة يسع ريّها وفي الحديث : « إذهب إلى شربة من الشربات ، فادلك رأسك » ، وفي حديث جابر : « أتانا رسـول الله (ص) فعدل إلى الربيـع ، فتطهّر ، وأقبل إلى

(١) الحوادث الجامعة (٨١)
(٢) المصدر المذكور (٨٢)
(٣) المصدر المذكور (٤٣٣)
(٤) الجامع المختصر (٨/٤٢)
(٥) الحوادث الجامعة ٢٥٤

الشربة » . فالربيع النهر ، والشربة المسقاة ، والجمع من كل ذلك شَرَبات هذا ما تعنيه كلمة شربة وشربات في أصل اللغة ، غير أن كلمة شربة تطلق في لهجة العراقيين الشائعة هذا اليوم على إناء معروف من الفخار ، يشرب منه ، ويجمعونها على (شراب) ، لا (شربات) . وليس هذا الاستعمال حديثاً ، فهو معروف في لهجة قدماء العراقيين من أبناء المئتين السابعة والثامنة ، وفي عصور العباسيين الأخيرة ومن الشواهد على ذلك ، ما جاء في أخبار سنة ٦٤٢ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « وحملوا اليها شَرَبات ومراكن » فالشربات بالتحريك هنا جمع شربة ، أو الفخارة كما كانت تسمى في بعض عصور الدولة العباسية ، ولها ذكر في بعض الكتب المصنفة إذ ذاك ، قال السمعاني [١] : الفاخوري والفاخراني : الذي يعمل الفخار والكيزان ، وهي أيضاً الجرة [٢] التي يسمونها في مصر (قلة) وقلال قِنا إحدى حواضر الصعيد ، مشهورة في الديار المصرية ، وهذه الأواني أعني الفخار والجرّة وما إليها تصنع من الطين والخزف قال السمعاني : « (الخزفي) نسبة الى بيع الأواني الخزفية » ، وقال أيضاً : « (الخزّاف) نسبة الى عمل الأواني الخزفية أو بيعها ، ويقال له (الخزفي) » أيضاً ، وأُشتهر بالخزاف والخزفي جماعة على ما جاء في كتاب الأنساب . ويقول اللغويون فى المِشْرَبَة كَمِكْنَسة : إنها إناء يشرب منه ، وهي أيضاً شائعة في لهجة البغداديين الى اليوم ، ويجمعونها على مشارب ، ولكنها مخصوصة بما يصنع من الصفر أو النحاس دون الفخّار ، ويقال لهذه المشربة (مسخنة) في لهجة سكان الأقاليم الجنوبية من العراقيين ، ولا شك في فصاحة اللفظتين ، أعني المسخنة والمشربة بالمعنى المذكور .

٥٠ — (الشنقصة) : عراقية مولدة في عصر المغول ، أي أنها ليست من المولد القديم شاعت في لهجة العراقيين خلال المئة السابعة بمعنى الدس والمكر أو التصدي للضرر وعمل السوء

---

(١) أنظر القائمة (٨٤ — ٨٥) من كتاب الأنساب

(٢) في أخبار سنة ٦٤٦ من الحوادث الجامعة : « وجد الحفار جرة مملوءة دراهم يونانية » ، وتكرر ورود هذه اللفظة في الخبر المذكور

ونحو ذلك ووردت بهذا المعنى مرتين في (كتاب الحوادث الجامعة) : « كان قد أدخل نفسه في الشنقصة ، وآذى الناس [1] » ، وجاء في الكتاب المذكور أيضاً : « عزل شحنة بغداد ، وسبب ذلك أن نائبه رسم أساء السيرة ، وتعدّى الحدّ في الشنقصة وأنواع التأويلات [2] » ويعني بهذه العبارة (أنواع التأويلات) ما يعنون بقولهم اليوم التقارير ، أو الرفوع المؤذية . والشنقصة في لهجة عامة العراقيين هذا اليوم تمني تعليق الشيء منكساً أومقلوباً ، ويقولون أيضاً شنقص الجدار إذا دعمه بأخشاب أو نحوها والمولدون يسمون الدعائم التي يدعم بها الجدار المائل للأنهدام (بغلة [3]) . وفي العصر العباسي أستعملوا كلمة (الدستهايج والدستهانجات) لدعائم الحيطان وفي الفصيح : يقال لهذه الدعامات (الظئر) ، وهي أستعارة من (ظئر الولد) ، أي مربيته أو مرضعته وكذلك الرِّدْء والدعامة والركن أيضاً و (الفرخ) في أصطلاح البنائين العراقيين ، يعني الدعامة ، والدستهايج أيضاً ، والبغلة ، وما إلى ذلك . والفرخ في هذا الوضع أصطلاح لطيف ، يغني عن جميع الكلمات المولدة والأعجمية ، وكأنها أخذت من قولهم أفرخ الزرع ، أي نبتت أفراخه وإذا رجعنا إلى مادة شقص في المعجمات ، وهي تجمع أكثر حروف الشنقصة ، وجدناهم يقولون (تشقيص الذبيحة) تفصيل أعضائها سهاماً معدّلة بين الشركاء . والمشقّص : كمحدِّث ، القصاب فلينظر فيما إذا كان أصل الشنقصة من هذه المادة ، زيد عليها حرف النون جرياً على عادة العامة في التحريف .

هذا ، ولا تخلو الفصحى من كلمات تسدّ مسدّ لفظ الشنقصة العامي المذكور ، ومن ذلك

---

(١) الحوادث الجامعة (٤٢١) (٢) المصدر المذكور (٤٩٦)

(٣) ذهب بعضهم الى أن أصل الكلمة (بغلة) من الآرامية ، ولا دليل على ذلك ، فهي من كلام المولدين قال بعض الشعراء :

لك وجه وفيه قطعة أنف ... كجدار قد أدعموه ببغله

هو كالقبر في المثال ، ولكن ... جعلوا وجهه على غير قبله

ويقول بعضهم : إن كلمة (دنكة) العامية بمعنى السارية أو الدعامة ، من الآرامية

(المِحال) ككتاب ، قالوا : هو الكيد والقوة والمكر ، وبه فسر قول عبد المطاب بن هاشم :

لا يَغلبنّ صليبهم ومِحالهمْ أبداً مِحالكْ

أي كيدك وقوتك قال قتادة : شديد المِحال شديد القوة ، أو شديد الإهلاك ، بالحق لا بالباطل كما يقول بعض المفسرين ، ويظهر أن المحال مفعلة من الحيلة . قال الفيروزآبادي : محل به ، مثلثة الحاء ، محلاً ومحالاً ، كاده بالسعاية الى السلطان وماحله : قاواه

(ص)

٥٠ — (صانع ـ بمعنى خادم) : الصانع لغةً هو الخالق أو الموجد ، وفي لهجة العراقيين هذا اليوم يعنى بها المستخدم أو الخادم ، وبهذا المعنى عرفت في لهجة العراقيين المولدة على عهد المغول ، ففي أخبار سنة ٦٥٣ من (الحوادث الجامعة) : « مرض صانع حمام » ، ويقصد المستخدم في الحمّام ، وهذه الكلمة شائعة بهذا المعنى اليوم في أنحاء الجزيرة العربية خصوصاً في نجد والحجاز

(ض)

٥١ — (الضمان — بمعنى الإجارة) : تعني كلمة الضمان في الأُصل التعهد والكفالة . يقال « كفيل ضامن » ، وضمن الشخص : كفله ، وضمَّنته الشيء : أودعته إياه ، وتضمَّنه : أشتمل عليه ، وضمَّنته الشيء تضميناً فتضمَّنه عنّي : غرّمته ويجمعون الضامن على ضمّان وضُمَناء وتعني كلمة الضمان في لهجتنا الشائعة الإجارة ، أو عقدها ، فيقولون : « ضمن البستان أو الضيعة ، وضمَّنه إياها مالكها » يعنون بذلك الإجارة أو الكِراء . ويقولون بهذا المعنى أيضاً إلتزَمها ، والالتزام الضمان ، ومن ذلك التزام الأعشار وضمان الأعشار في مصطلحات أصحاب الدواوين على عهد الدولة التركية والضامن : الملتزم الذي يقوم بأستيفاء ضريبة من الضرائب ، أو رسم من رسوم الدولة ، ويجبيه لحسابه في مقابل تأدية مبلغ معين من المال يدفعه الى السلطة المختصة وكانوا يسمون هذا النوع من جباية بعض الضرائب والرسوم (قبالة) ، ويسمّون ضمّانه (المتقبلين) . وأُستعملت لفظة الضمان في عصر الإقطاع العباسي

وفي العصر المغولي بمعنى مال الإقطاع وكانت ضريبة العشر تستوفى عيناً ، ثم اعتادت السلطات الحكومية أن تقطعها لمن تشاء في مقابل مبلغ من المال ، وهو الضمان أو الالتزام ، ثم أطلق اللفظ على المال نفسه ، وبه أخذت الدولة العثمانية كما عهدناه في عصورها الأخيرة هذا ، وفي أخبار سنة ٦٧٦ من (الحوادث الجامعة) : « أنهما ـ أي والي الموصل وشحنتها ـ ظلما في المحاسبة على ضمان الموصل [١] » ، وقد جاء في أخبار سنة ٦٨٦ من الكتاب المذكور : « سلم الى العميد زين الدين ضامن تمغات بغداد [٢] » ، وفي أخبار سنة ٦٨٦ أيضاً : « فيها عقد ضمان الأعمال الحلّية على مجد الدين إسماعيل إضافة الى نيابة الديوان [٣] » ، وفي أخبار سنة ٦٨٧ : « ضرب الزين الحظائري ، وباع أملاكه وأسبابه ، وقام بما تخلف عليه من ضمان الحلة [٤] » ، وفي أخبار سنة ٦٨٨ : « فيها تقدم الملك شرف الدين السمناني صاحب ديوان العراق بإعادة الزين عميد بغداد الى التمغات ، بعد أن أستوفى ما عليه من بقايا الضمان بالضرب والعذاب [٥] » وقد جمعوا الضمان بهذا المعنى على ضمانات ، ففي أخبار سنة ٦٦٤ : « أطلق معظم الضمانات ، وأزال المكوس والضرائب » ومن ذلك يستفاد أن الأعيان التي يتعلق بها الضمان مختلفة ، فنها الضرائب ، ومنها الضياع والأعمال والمستغلات العائدة للدولة . ويسمى ضمان الأعمال ، كضمان الحلة وواسط والموصل ، إقطاعاً وهو لا يصح ولا يجوز شرعاً في أملاك الدولة أو الأمة أو بيت المال ؛ لأنه مما تتعلق به حقوق الأفراد ، ولأنه يؤدي الى تضخّم الملكيات وحصرها بيد عدد معين من الناس وحرمان الجمهور من حقه في ذلك . ولما يرافق هذا النوع من الضمانات من اجحاف وتمسف ومظالم وما الى ذلك ، والإقطاع يصح أو يجوز في قول إذا كانت الأرض مواتاً وأنفق المقطعة له على إحيائها من ماله وللإمام في أي وقت من الأوقات أن يسترد هذا الإقطاع المحدد في سبيل منفعة من المنافع العامة ، فيبقى ملكاً للدولة والخلاصة : لا يجوز إقطاع الأرض والمستغلات التي تعود رقبتها لبيت المال على الوجه الذي كان متعارفاً في

(١) الحوادث الجامعة (٣٧٧)
(٢) المصدر عينه (٤٣٣)
(٣) المصدر عينه (٤٥٣)
(٤) المصدر المذكور (٤٥٤)
(٥) المصدر المذكور (٤٥٧)

بعض عصور الدولة العباسية والمغولية والتركية بعد ذلك ، وقد اتجهت أكثر الدول الحديثة الى إزالة هذا النوع من الإقطاع .

(ط)

٥٣ — (الطبق ـ دور الضيافة) : الطبق لغةً هذا الذي يؤكل عليه ، وغطاء كل شيء والطبق أيضاً من كل شيء ما ساواه ، أي طابقه وقد استعيرت كلمة الطبق بالمعنى الأول لمبرّة تنسب الى الخليفة الناصر لدين الله العباسي ، فإنه أنشأ في محالّ بغداد دوراً للضيافة يتناول الناس فيها طعام الإفطار في شهر رمضان ، وحبس عليها الضياع المغلّة ، ووقف عليها الأوقاف ، فقال البغداديون (دار الطبق) و (مال الطبق) و (غلّة الطبق) ، يعنون بذلك دُور الضيافة المذكورة ، وعُدّ هذا العمل من مآثر الخليفة المذكور ، واقترن ذكرها بعبارات الإكبار والإجلال ، فقالوا (الطبق الشريف) ، الى غير ذلك وفي أخبار سنة ٥٩٥ من (كتاب الجامع المختصر) لابن الساعي [1] : « في شوال رُدّ النظر في أملاك الطبق الشريف الى العدل علي بن رشيد الحربوي ، وكيل الخدمة الشريفة الناصرية ، فاستناب فيه الفقيه فخر الدين اسماعيل غلام ابن المنّي ، وبسط يده فيه ، فظهرت منه جلادة ، ووفر حاصله معه » . ألا ترى كيف أضيفت الأملاك الى الطبق في عبارة ابن الساعي ؟ وهو يعني بها الضياع الموقوفة على تلك الدور المعدة للضيافة وجاء في أخبار سنة ٦٤٤ من (كتاب الحوادث الجامعة) ما يأتي : « ثم ردّ اليه — أي الى ابن الثيار — النظر على الطبق ، وكان يتولاه نجم الدين محمد

(١) الجامع المختصر (٨/٢٠ — ٢١) هذا ، ويلاحظ أن هذا الخليفة العباسي كان معنياً بانشاء هذا النوع وغيره من أنواع دور الضيافة ، ومن ذلك انه أنشأ داراً لضيافة الحجاج قال ابن الساعي في حوادث سنة ٦٠٥ : « في المحرم منها تقدم الناصر لدين الله ببناء دار الضيافة لوجه الله تعالى بالجانب الغربي ، فبنيت على دجلة ، وصفت فيها الأطعمة الكثيرة ، وتقدم الى النواب بها أن لايردوا واحداً من الحاج ولا غيرهم من تناول الطعام وأن يدفع الى كل فقير عند عزمه على السفر دينار بعد أن يكسى ويعطى زاده » وقد ورد ذكر دور الضيافة الناصرية المذكوره في تأريخ الكامل لابن الاثير ، ولم يسم هذا المؤرخ اغفال هذه المآثر ، مع ما عرف به من سوء الظن بهذا الخليفة ، وقد حاول أن يتهمه بمكاتبة التتر ودعوتهم الى غزو الدولة الخوارزمية ، فانه — نعني ابن الأثير — أراد أن يلوم الناصر ، زاعماً أنه أبطل ما أنشأه من دور الضيافة ، وأنه نقض ما بناه أنظر كتاب الكامل لابن الأثير (١٢/١٨١)

ابن الطرّاح ، فعزله وعزل مشرفه ، واُقتنع بالكاتب ونائبي النظر والاشراف . وكان قد اُضطرب حال عقاره وضياعه ، وقلّ حاصله . فلما عاد أمره اليه ، توفر حاصله[1] »

هذا ، ولدور الضيافة والطبق هذه والضياع المحبسة عليها ذكرٌ في مادة (عُكْبُرا) من (مراصد الاطلاع) ، ويستفاد من هذا الفصل الذي عقده صاحب (المراصد) عن (عُكْبُرا) فوائد تأريخية جليلة عن تحول نهر دجلة في ذلك العصر ، وتحول العمران معه من جهة الى أخرى ويستفاد منه أيضاً أن المستنصر حذا حذو والده الناصر ، فاُستخرج نهراً من (دجيل) ، وقفه على دور الضيافة التي أُنشئت في محالّ بغداد لتناول الناس طعام الإفطار فيها

٥٤ — (طيِّب ـ بمعنى معافى) : يقول العراقيون في لهجتهم الشائعة الآن (فلان طيب) ، يعنون أنه سليم معافى ، وهي لهجة نجدها في تضاعيف (كتاب الحوادث الجامعة) من ذلك قوله في أخبار سنة ٦٨٦ : « حجّ الناس ، وعادوا طيبين ، وأخبروا بأمن الطريق ورخص الأشياء في مكة والمدينة[2] » يعني أنهم عادوا سالمين ، وليس هذا من معاني الطيب في كلام العرب ، فإن الطيب عندهم ضد الخبيث « الطيبون للطيبات والخبيثون للخبيثات » . « أحل لكم الطيبات ، وحرّم عليكم الخبائث » .

ومن معاني (طاب) لذّ وزكا ويستفاد من كلام بعض اللغويين أن كلمة الطيب تعني ثلاثة معانٍ : الطاهر الحلال المستلذ ولم يذكروا المعافى بين معاني الكلمة المذكورة

(ظ)

٥٥ — (الظواهر ـ بمعنى العجائب) : الظاهر ـ لغةً ـ خلاف الباطن ، والظواهر : ضد البواطن ، وقريش الظواهر : النازلون بظهر مكة ومن أقوالهم « ظاهر الرواية . ظاهر المذهب . ظاهر اللفظ ظاهر الحديث ظاهر الشرع » والظاهرية : قوم من المحدِّثين ، يأخذون بظواهر الأحاديث ، ولا يقولون بالقياس والأدلة العقلية والظاهري : صاحب هذا المذهب المعروف في الحديث[3] . وفي كلام المولدين أصبح لكلمة الظواهر معنى آخر ، فهي تعني عندهم

(١) أنظر الحوادث الجامعة (٢١١) (٢) المصدر المذكور (٤٥٣)

(٣) تجد في (كتاب الأنساب) للسمعاني بحثاً حسناً في المذهب الظاهري ، وسيرة صاحب هذا المذهب =

العجائب والخوارق . جاء في أخبار سنة ٦٧٧ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « فتواترت بعد ذلك أخبار العوام رؤية المنامات وكثرة الظواهر » يعني العجائب . ويقول الكتاب المحدثون هذا اليوم : « ظاهرة طبيعية » « ظاهرة فلكية » « ظاهرة جوية » بمعنى قريب من المعنى الشائع في هذه اللهجة العراقية المولدة

= وأحوال أصحابه الظاهرية وقد جاء في هذه المادة من الكتاب ما هذا نصه : « هذه النسبة الى أصحاب الظاهر ، وهم جماعة ينتحلون مذهب داوود بن علي الأصفهاني صاحب الظاهر ، فانهم يجرون النصوص على ظاهرها ، وفيهم كثرة أما داوود ، فهو أبو سليمان داوود بن علي بن خلف الفقيه الظاهري ، أصبهاني الأصل سكن بغداد ، ثم رحل الى نيسابور ، ثم قدم بغداد ، وصنف كتبه بها وهو إمام أصحاب الظاهر ، وفي كتبه حديث كثير ، إلا أن الرواية عنه عزيزة جداً وذكره أبو العباس ثعلب فقال : كان عقله أكثر من علمه وقد حكى عنه أحمد بن حنبل قولا في القرآن بدعه فيه ، فامتنع من الاجتماع به ، وقال — يعني ابن حنبل — كتب الي محمد بن يحيي الذهلي من نيسابور أنه — يعني إمام أصحاب الظاهر — زعم أن القرآن محدث ، فلا يقربني قال أحمد بن خلف بن كامل : في شهر رمضان سنة ٢٧٠ مات داوود ابن علي بن خلف الأصبهاني ، وهو أول من أظهر انتحال (الظاهر) ، ونفى (القياس) في الأحكام قولا ، واضطر اليه فعلا ، وسماه (دليلا) وكان أبوه علي بن خلف يتولى كتابة عبد الله بن خالد الكوفي قاضي أصبهان أيام المأمون » هذا ما قاله السمعاني عن الظاهرية ومذهبهم ، وعن إمام أصحاب الظاهر داوود بن علي بن خلف الفقيه الظاهري ، ويلي ذلك في (كتاب الانساب) فصل عن ابنه محمد بن داوود بن علي بن خلف صاحب (كتاب الزهرة) ، وفي هذا الفصل يقول السمعاني عن صاحب هذا الكتاب محمد بن داوود : « كان عالماً ، أديباً ، وشاعراً ظريفاً وله في (الزهرة) أحاديث عن عباس بن محمد الدوري وطبقته ولما جلس فى حلقة أبيه بعد وفاته يفتي ، أرسلوا اليه رجلا ، قالوا له : سله عن حد السكر ، فأتاه ، فسأله : متى يكون الانسان سكراناً ؟ فقال محمد بن داوود : اذا عزبت عنه الهموم ، وباح بسره المكتوم فاستحسن ذلك منه ، وعلم موضعه من العلم » هذا ما رواه السمعاني في تعريف السكر عن محمد بن داوود الأصبهاني صاحب (كتاب الزهرة) ، وهو فيما نرى تعريف شاعر أو عاشق ، لا تعريف فقيه ، والسكر عند الفقهاء ما أذهب العقل والتمييز ، ويستدلون عليه بالنكهة والرائحة ، وللفقهاء في تحديد السكر أقوال . فالسكران عند بعضهم هو الذي لايفرق بين الأرض والسماء ، وعند آخرين أن يخلط كلامه ويغلب عليه الهذيان ، وعند قوم أن يختلج في مشيته وأن تتخاذل أقدامه ، وعند فقهاء آخرين أن تجتمع فيه كل هذه العلامات ، وما الى ذلك هذا ، وقد ختم السمعاني هذا الفصل عن صاحب (كتاب الزهرة) قائلا : « له أخبار ومناظرات مع أبي العباس بن سريج ، بحضرة القاضي أبي عمر بن يوسف ، مثبتة مسطورة لحسنها ومن جملة أشعاره :

أنظر الى السحر يجري في لواحظه وانظر الى دعج في طرفه الساجي
وانظر الى شعرات فوق عارضه كأنهن نمال دب في عاج

مات صاحب (الزهرة) هو والقاضي يوسف بن يعقوب في يوم واحد سنة ٢٩٧ » ، وراجع أيضاً مادة (الباطني) من (كتاب الأنساب) المذكور

(ع)

٥٦ — (العالَمُ ـ جمهرة الناس) : العالم في الأصل ما حواه بطن الفلك، وجمعه (عالَمُون) ، والعالم أيضاً : الخلق كله ، أي ما يشمل المواليد الثلاثة هكذا ورد في كلامهم وقد تغير مدلول كلمة العالم على توالي العصور ، فأصبحت تعني كثرة الناس فقط ، وهي معروفة في لهجة العراقيين الشائعة الآن وبهذا المعنى المولّد وردت كثيراً في (كتاب الحوادث الجامعة) ، ففي حوادث سنة ٦٣٠ : « كان يأخذ نفسه بالرياضة والتخشن والتباعد عن العالم [١] » ، وفي حوادث سنة ٦٥٣ : « قتل خلق كثير ، وجرح عالم عظيم [٢] » ، وفيها أيضاً : « سأل الدويدار أن يكتب له أمان بعلم الخليفة ، ويقرأ في جمع من العالم » ، وفي وصف تشييع جنازة ابن وضّاح الشهرباني المتوفى سنة ٦٧٢ : « اجتمع له عالم لا يحصى » ، وفي أخبار سنة ٦٧٧ : « غـلِّقتْ الأسواق ، واختفى أكثر العالم » ، وفي أخبار سنة ٦٩٠ : « وزادت دجلة بعد ذلك ، وانتفع العالم بما عمّهم من لطف الله ورحمته » ، الى غير ذلك هذا ، ومن الواضح أن كلمة العالَم الواردة في هذه الأقوال تعني كثرة الناس فقط ، ولا تشمل أكثر من ذلك ، كما هو مدلولها في كلام الفصحاء

جاء في (كتاب الفروق) للعسكري : قال بعض العلماء أهل كل زمان عالم ، وأنشد :

وخندف هامة هذا العالم

وفي كتاب الفروق أيضاً ما يحوي الفلك عالم ويقول الناس : العالم السفلي ، يعنون الأرض وما عليها ، والعالم العلوي : يريدون السماء وما فيها ، ويقال على وجه التشبيه : الانسان العالم الصغير ، ويقولون : الى فلان تدبير العالم ، يعنون الدنيا . وقال آخرون : العالم اسم لأشياء مختلفة ، وذلك أنه يقع على الملائكة والجن والإنس ، وليس هو مثل الناس ؛ لأن كل واحد من الناس انسان ، وليس كل واحد من العالم ملائكة وقال أيضاً : الفرق بين العالم والدنيا أن الدنيا صفة ، والعالم اسم ، تقول : العالم السفلي والعالم العلوي ، فتجعل العالم اسماً ، وتجعل العلوي والسفلي صفة ،

(١) الحوادث الجامعة (٣٨) (٢) المصدر المذكور (٢٩٥)

وليس في هذا إشكال[1] وفي (كليات أبي البقاء) تحت عنوان (العالم): قال أبو حيان: العالم لا مفرد له كالأنام، وأشتقاقه من العلم أو العلامة وقال غيره: من العلم، لا العلامة، لكنه ليس بصفة، بل أسم لما يعلم به، أي يقع العلم به، مثل الخاتم أسم لما يتختم به، والقالب لما يقلب به وفي آخر هذه الكلمة فصل في مدلول كلمة العالم وأنه يتناول الجن والإنس والملائكة لفخر الدين الرازي، نقله صاحب الكليات

٥٧ — (عـدم): من أقوال العراقيين في لهجهم الشائعة الآن (عدم الأشياء) بمعنى فقدانها، وأصح منه أن يقال (عدم وجود الأشياء)، ثم إن العدم يعني في الغالب فقدان المال خاصةً في كلامهم دون بقية الأشياء والأستعمال السابق المولد في لهجة أبناء العراق هذا اليوم، انتقل اليهم من لهجة أجدادهم قبل أكثر من سبعمئة سنة، ففي (كتاب الحوادث الجامعة): «أخبروا بتعذر الأقوات وعدم الأشياء هناك» كما يقول العراقيون ذلك هذا اليوم.

٥٨ — (عـيّن عليه): تعـيّن عليه الشيء: لزمه بعينه هـذا ما تراه في معجمات اللغة وفي كلام الفصحاء أما في لهجتنا الشائعة، فيقولون (عـيّن عليه) اذا أختاره لعمل، أو لمنصب، ومن ذلك أشتقوا كلمة (التعيين)، أي الوظيفة من خبز وطعام ومؤنة، جاء في أخبار سـنة ٦٥٦: «عـيِّن على شهاب الدين بن عبد الله صـدراً في الوقوف[2]». والأمثلة غير قليلة في (كتاب الحوادث الجامعة) من هذا القبيل

(ف)

٥٩ — (الفردة): الفرد: ضـد الزوج، ولا يقولون في هـذا المعنى (فردة)، وفردة بالتاء لفظة مولدة بالمعنى المذكور وتستعمل لفظة الفردة في العراق اليوم بمعنى (رزمة)، فيقال: «فردة قماش» وما الى ذلك ولفظة (بالة) أيضاً وهي الحزمة أو الرزمة الكبيرة من القماش أو المتاع تنضد وتحزم وفي المعجمات: (البالة) الجراب الضخم أو الصغير، فارسية معربة، ويزعم بعضهم أنها محرفة من قولهم (ضغث على إبّالة)، والإبالة الحزمة الكبيرة من الحطب. فالكلمة

(١) الفروق للعسكري (٢١٧ — ٢١٨) (٢) الحوادث الجامعة (٢٣٣).

على هذا عربية الأصل ، لا معربة . وفي أخبار سنة ٦٣٦ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « أريته فردة السوار ، وقلت إن الفردة الأخرى عندهم[1] » ، وجاء فيه أيضاً : « وكان لها عند الصائغ فردة سوار[2] » وجاء في أخبار سنة ٦٥٣ من الكتاب المذكور : « أرسل صلاح الدين ابن أيوب صاحب دمشق وحلب ـ هو صلاح الدين الصغير ـ رسولاً معه فردة ركاب كبيرة من حديد ، ذكر أنها ركاب النبي (ص) ، وأنها عند بني أيوب يحفظونها كما حفظ بنو العباس البردة الشريفة، فقبلها الخليفة ، وجعلها في خزانته مع البردة والقضيب. والفردة بهذا المعنى شائعة في اللهجة العراقية الآن بحيث يستفاد منها أن هذه اللهجة العراقية المعروفة اليوم كانت شبيهة بلهجة العراقيين الشائعة قبل أكثر من سبع مئة سنة وقد تقرأ صفحة أو صفحتين من بعض الكتب المؤلفة في المئتين السابعة والثامنة ، مثل كتاب (الحوادث الجامعة) وكتاب (فرحة الغري) لغياث الدين بن طاووس الى كتب أخرى ، فيخيل اليك أحياناً أنها كتبت باللهجة الشائعة في عصرنا هذا[3]

وقال اللغويون : (فردة) ، اسم جبل ، وفي الحديث : « فمنكم المزداف صاحب العمامة الفردة » إنما قيل له ذلك لأنه كان إذا ركب لم يعتم معه غيره إجلالاً له وقال العسكري في (الفروق اللغوية) : الفرق بين الواحد والفرد أن الفرد يفيـد الانفراد من القرن أي النظير ، والواحـد يفيـد الانفراد أو الصفة ألا ترى أنك تقول فلان فرد في داره ، ولا تقول واحـد في داره ، وتقول هو واحد أهل عصره تريد أنه قد انفرد بصفة ليس لهم مثلها ؟[4] وقال أيضاً : الفرق بين الواحـد والمنفرد أن المنفرد يفيد التخلي والانقطاع من القرناء ، ولهـذا لا يقال لله سبحانه وتعالى « منفرد » ومعنى المنفرد في صفات الله تعالى أنه المتخصص بتدبير الخلق وغير ذلك .

٦٠ — (الفرمان) : لفظة تركية بمعنى (البراءة السلطانية) أو (الأمر السلطاني) أو (تقليد) أو عهد بتولية منصب عالٍ كثر ورودها في كتاب (الحوادث الجامعة) وفي غيره من الكتب المصنفة في ذلك العصر ، وكانت معروفة في اللهجة العراقية الى أن تخلى الترك عن

---

(١) الحوادث الجامعة (١١٩) (٢) المصدر المذكور (١١٨)

(٣) أنظر (١١٨ — ١١٩) من المصدر المذكور ، والصفحات الآتية من كتاب فرحة الغري (١٢٥ ـ ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٧) (٤) الفروق (١٤٤ ـ ١٤٥)

العراق بعد أنتهاء الحرب العالمية الأولى ، وتجمع على (فرامين) قال أبن الفوطي في (معجم الآداب [1]) في رجمة فخر الدين عبد الله بن شمس الدين المعروف بقاضي هراة قاضي قضاة خراسان ، ما يأتي : « رأيته بتبريز سنة ٦٧٧ ، فوّض اليه الصاحب السعيد شمس الدين الجويني قضاء ممالك خراسان ، وكتب له بذلك (الفرمان) » وجاء في أخبار واقعة بغداد من (كتاب الحوادث الجامعة [2]) : « كان ببغداد جماعة من التجار الذين يسافرون الى خراسان وغيرها ، قد تعلقوا من قبل على أمراء المغول ، وكتب لهم فرامين . فلما فتحت بغداد ، خرجوا » وفي أخبار سنة ٦٨٧ من الكتاب المذكور : « عرضا عليه ما معها من الفرامين ، فأمر أن ينادى في بغداد أن يحضر الى الديوان كل من معه فرمان وبايزه [3] » . وفي هذه الأيام قد تستعمل في بعض الأقطار العربية الأخرى كلمة (مرسوم) في موضع هذه الكلمة .

(ق)

٦١ — (قاعد ـ بمعنى جالس) : القاعد ـ لغةً ـ ضد الواقف ، أو القائم . وهي خاصة بمن يجلس عن أضطجاع أو سجود أو نحو ذلك غالباً ولا يقال قاعد للجالس مطلقاً . هذا ، وأقوالهم في الفرق بين القاعد والجالس لا تخلو من أضطراب ويستفاد من كلام بعض الأدباء واللغويين أن الفرق بين الجلوس والقعود هو أن القعود يعني أحياناً ضرباً من المكث واللبث بخلاف الجلوس ، ومن ذلك في التنزيل : « القواعد من النساء . ومقعد صدق . إنّا هٰهنا قاعدون » ، وقول الشاعر :

الى بيتٍ قَعيدَتُهُ لَكاعِ

وقالوا : « أديب قاعد وكاتب قاعد . وأخباري قاعد » أي حاذق أو ماهر . قال الحريري : يقولون للقائم : إجْلِسْ ، والأختيار ، على ما حكاه الخليل ، أن يقال : أُقعُدْ ، وللنائم والساجد : إجلس وعلّله بعضهم أن القعود هو الأنتقال من علو الى أسفل ، ولذا قيل لمن أصيبت رجله مُقْعَد ، وأن الجلوس هو الأنتقال من سفل الى علو . ويستفاد من

(١) (٤/ مادة فخر الدين) ، واللباب (٨٨) (٢) (٣٢٩) ؛ (٣) (٤٥٤) .

أقوال بعض شراح (درّة الغواص) للحريري أن الجلوس والقعود مترادفان ، وأن الفرق بينهما معدوم وقد سوّى بينهما بعض اللغويين ، وعلى ذلك قول النحاة : « قعدت جلوساً » الى غير ذلك . وبخلاف ذلك يقول آخرون : لا يقال قاعد بمعنى جالس مطلقاً ، كما هو معروف الآن في لهجتنا الشائعة ، وهي منتقلة الينا من عصر المغول ، فكانت هذه الكلمة تستعمل بمعنى الجالس اطلاقاً . وفي أخبار سنة ٦٦٨ من (كتاب الحوادث الجامعة [١]) : « عرض له رجل جمّال كان قاعداً بباب غلة أبن تومة » يعني أنه كان جالساً عن قيام ، والعرب لاتعرف ذلك قال اللغويون : القعود الجلوس ، أو هو القيام من الضجعة أو من السجود ، وقد فرقوا بين قولهم للقائم إجْلِسْ أو أُقْعُدْ كما رأيت وهنا فائدة يحسن أن يختم بها هذا البحث ، وهي : أن القعود يكون مصدراً وهو شائع ، ويكون جمعاً لكلمة قاعد كما في قوله تعالى : « إذ هم عليها قعود » ، ومثله الجلوس . وأما الخروج ، فلم يرد إلا مصدراً ، وقيل : يجوز أن يكون جمع خارج ، وهو ضعيف .

٦٢ — (القلندرية) : نسبة الى قلندر ، لفظة أعجمية ورد ذكرها مرتين في كتاب الحوادث الجامعة ، ولم يشرح مؤلفه معنى هذه اللفظة ، كما أنه لم يصف هذه الطائفة المنتمية الى الصوفية ، ولم يعرِّف طريقتهم ، ولم يشر الى أذكارهم وآدابهم إن كان لهم شيء من هذا القبيل ، ككثير من فرق الصوفية . ولا شك في غموض معنى لفظة (قلندر) أو قلندرية ، فهناك من يقول : إن قلندرية نسبة الى رجل أو علم أعجمي هو قلندر ، ويقول أبن فضل الله العمري : إن معنى قلندري (حليق) ، والقلندرية المحلّقون . ويستند هذا المؤرخ في زعمه الى ما أعتاده القلندرية من حلق اللحية والسِبال .

هذا ، وليس لهذه المادة أصل في معجمات أئمة اللغة ولكن الزبيدي أنفرد بإيرادها في مستدركاته بعد مادة قفندر ، فقال : « (قلندر) كسمندر لقب جماعة من قدماء شيوخ العجم ، ولا أدري ما معناه [٢] » هذا ما قاله الزبيدي في (التاج) ومن أقوال عامة عصرنا في العراق « فلان قلندري » يعنون أنه جريء أو بطل . ووردت هذه اللفظة في (رحلة أبن بطوطة) مرة بصورة

(١) الحوادث الجامعة (٣٦٦) (٢) تاج العروس (٣/٥٠٤)

(قلندرية)، وأخرى بصورة (قرندلية)، والأخيرة خطأ. وقد عني رهط من مؤرخي الدولة الأيوبية ودول المماليك والمغول والأتراك من مصريين وشاميين بذكر هذه الطائفة المنتمية الى الصوفية، فذكروا أن لهم عادات وأحوالاً غريبة، ومن عاداتهم حلق اللحى والحواجب والشوارب، ولهم زي خاص أعتبره بعض سلاطين المماليك من أزياء الشهرة المنوعة، وأفتاهم بعض الفقهاء بذلك وجاء في التواريخ المشار اليها نبذة عن أوضاعهم وعن بعض زواياهم وخوانقهم التي وجدت في فارس والعراق وآسية الصغرى ومصر والشام

وفي أخبار سنة ٦٤٣ من (كتاب الحوادث الجامعة) فصل عنوانه (قتل خليل بن بدر الكردي [١]) جاء فيه ما يأتي: «كان أحد زعماء كردستان [٢]، وخرج عن طاعة الخليفة، والتجأ الى المغول وكان يلبس زي القلندرية، ويزعم أنه من أتباع الشيخ أحمد بن الرفاعي، وأظهر الإباحة، فاجتمع عليه خلق كثير وكان يشرب الخمر، ويأكل الحشيش المسكر، فخرج معه جمع كثير من المغول وغيرهم، وقصد نواحي (اللاحف)، ونهب جماعة من رعية سليمان شاه [٣] وقتلهم، ثم حصر قلعة زهاو [٤]، وهي لسليمان شاه، فخرج اليه في خلق كثير» هذا ما جاء في الحوادث الجامعة، ويلي ذلك وصف للمعركة التي أنتهت بقتل خليل بن بدر الخارجي المذكور وفي أخبار سنة ٦٥٨ من الكتاب المذكور: «حكي أن السلطان هولاكو لما مرّ بوطأة حرّان، وقف له جمع من الفقراء القلندرية، فقال لنصير الدين الطوسي: ما هؤلاء؟ قال: فضلة

(١) خليل بن بدر اللري، وقيل الكردي، من زعماء قبائل اللر على حدود العراق الشرقيه. له ذكر كثير في أخبار الفترة الأخيرة من عصور العباسيين، وخاصة عصر المستعصم آخر هؤلاء الخلفاء قال في جامع التواريخ: «هو الأمير حسام الدين خليل بدر (كذا) بن خورشيد البلوجي» أنظر جامع التواريخ (٢/٣٤٣)

(٢) في النسخة المطبوعة من الحوادث: (أرسنان)، وهو غلط

(٣) سليمان شاه بن برجم أشهر زعماء التركمان وقبائل البيات في هذا العصر. وأمير هذه القبائل التي كانت منتشرة على حدود العراق الشرقية وبالخاصة خانقين اشتهر بوقائعه الطاحنة مع المغول وحلفائهم من (اللر)، وأبلى بلاء حسناً في الوقائع المذكورة على صورة تركت هولاكو يحرق الأرم عليه وهو أحد الزعماء الذين رغب هولاكو في ارسالهم اليه وهو في همدان قبيل زحفه على بغداد، فلم يجبه الخليفة الى ذلك فلما ملك المغول بغداد، قتل فيمن قتل من هؤلاء الزعماء، ولم يكتف هولاكو بذلك، بل أنفذ برؤوسهم الى الموصل، فعلقت هناك. ولهذا الأمير التركماني ذكر مفصل في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٢/٣٧٠-٣٧٤) وفي جامع التواريخ (٣٤٢) وفي طبقات ناصري بالفارسية، وفي كتاب الحوادث الجامعة ذكر أكثر من مرة

(٤) في النسخة المذكورة (وهار)، وهو تحريف (زهاو)

في العالم ، فأمر بقتلهم ، فقتلوا . وسأله عن معنى قوله، فقال : الناس أربع طبقات بين إمارة وتجارة وصناعة وزراعة ، فمن لم يكن منهم كان كَـلّاً عليهم[1] » . هذا نص الحوار الذي دار بين الطاغية هولاكو ونصير الدين الطوسي بشأن هذه الفرقة بحسب رواية مؤلف كتاب (الحوادث الجامعة) . وليس هذا محل مناقشة هذه الرواية من حيث صحتها أو سقمها ، ولكن يستفاد من ذلك أن فكرة التضامن العمراني أو التعاون الاجتماعي لم تكن مجهولة في عصر المغول ، فكانوا يقدرون الناس بما يحسنون من صنائع وأعمال مثمرة ثم إن عدّهم للإمارة من جملة الأعمال المثمرة ، يدل على أنهم أعتبروا مناصب الدولة أحياناً واسطة ، لاغاية . وفي حوادث سنة ٧٦١ من (كتاب البداية والنهاية) لابن كثير : « الأمر بإلزام القلندرية بترك حلق لحاهم وحواجبهم وشواربهم ، وذلك محرم بالإجماع » ، وجاء في حوادث السنة المذكورة من هذا التاريخ ما نصه : « ورد كتاب من السلطان أيده الله الى دمشق في يوم الثلاثاء خامس عشر ذي الحجة بإلزامهم بزي المسلمين وترك زي الأعاجم والمجوس ، ولا عكن أحد منهم من الدخول الى بلاد السلطان حتى يترك هذا الزي المبتدع ، ومن لايلتزم بذلك يعزرشرعاً ، وكان اللائق أن يؤمروا بترك أكل الحشيشة واقامة الحد عليهم بأكلها كما أفتى بذلك بعض الفقهاء والمقصود أنه نودي عليهم بذلك[2] » وفي (الضوء اللامع) ترجمة موجزة لعلي القلندري صاحب الزاوية . وقال المقريزي في (خططه)[3] : « القلندرية طائفة تنتمي الى الصوفية ، وتارة تسمي نفسها ملامتيَّة » ثم ذكر فرقاً بين الطائفتين ، ومن عاداتهم على ما قال حلق اللحى ، وقد منعهم السلطان حسن من ذلك . والواقع أن الفرق بعيد بين القلندرية والملامتيَّة هذا ، وما أحسن قول السراج الورّاق :

عشقت مَنْ ريقتُـهُ قرقفٌ	وما له إذ ذاك من شارب
قلندرياً حلقوا حاجبـاً	منـه كنون الخط من كاتب
سلطان حسنٍ زاد في عدله	فاختار أن يبقى بلا حاجب

نشأة القلندرية

يستنتج مما مرّ أن القلندرية نشأت أولاً في بلاد فارس ، وذلك في أواخر عصور السلاجقة

(١) الحوادث الجامعة (٣٤٣) (٢) البداية والنهاية لابن كثير (١٤/٢٧٤)
(٣) أنظر المواعظ والاعتبار (٢/٤٢٢ — ٤٢٣)

تقريباً ، ثم أنتقلت من هناك الى بلاد الروم أو آسية الصغرى ، وكان فيها دولة للسلاجقة ، ثم ظهرت في مصر [1] والشام بين أواخر المئة السابعة وأوائل الثامنة ، ولم يكن للقلندرية إذ ذاك وجود في العراق ، ولم تعرف لها زاوية في أواخر عصور العباسيين إلى أوائل عصور المغول في هذه البلاد ، كما يستفاد من قصة الأمير خليل بن بدر اللري المنتمي إلى القلندرية والمتزّي بزيّهم ، فانه لم يكن من العراق [2] ، بل كان من اقليم لرستان ، وكما يستفاد أيضاً من قصة الفقراء القلندرية الذين وقفوا للطاغية هولاكو عند ما مرّ بوطأة حرّان من بلاد الجزيرة ، فالغالب أن هؤلاء فرقة من قلندرية الروم ، وقد أمر الطاغية بقتلهم كما مرّ

هذا ، والظاهر أن القلندرية ظهرت في العراق بعد أنقراض الدولة الأيلية أو الإيلخانية ، إذ ليس من الممكن أن يظهر لهم أثر في العراق بعد تلك الفعلة التي فعلها بهم هولاكو في وطأة حرّان . وليس لدينا تاريخ مضبوط عن مبدأ ظهور هذه الفرقة في العراق ، غير أننا نرجح أنهم ظهروا في هذه البلاد في عصر الجلائريين أو في النصف الأخير من المئة الثامنة وما بعد ذلك ، ووجد لهم ملجأ أو زاوية في الجانب الغربي من بغداد سمي (القلندرخانة) كما يستفاد من تضاعيف (تاريخ الغياثي) ، وربما كانت لهم بعض الزوايا في أماكن أخرى من العراق [3] .

٦٣ — (القنّارة) : يراد بالقنارة في لهجة العراقيين هذا اليوم خشبة ذات كلاليب معقفة ، يعلق القصاب عليها شاته وفي (شفاء الغليل) : قال أبو منصور : ليست من كلام العرب ، قال أبن حجاج :

(١) جاء في أخبار سنة ٦٧٨ من (كتاب السلوك) للمقريزي : « طعنه في حلقه ، فحمل الى قبة القلندرية ، فمات من يومه ، ودفن بها » (١/ق ١/٦٥٥)

(٢) وردت فقرة جديرة بالملاحظة في قصة الأمير القلندري خليل بن بدر المروية في كتاب الحوادث الجامعة ، إذ زعم أنه من أتباع الشيخ أحمد الرفاعي ؛ مع أن الطريقة الرفاعية تختلف في جوهرها عن طريقة القلندرية ويؤيد ذلك ما رواه ابن بطوطة عن زاوية الصوفية الرفاعية التي زارها في جزيرة أم عبيدة جنوب الديار الواسطية

(٣) أنظر الصفحة (١٦٣) من مخطوطة تاريخ الغياثي نسخة خزانة مديرية الآثار القديمة ، فقد جاء فيها : « كانت دار الشفاء على جانب دجلة ، فبنى السلطان أحمد في وجهها (القلندرخانة) » ، وفي صفحة (٢٠٩) من النسخة المذكورة : « كان متولي البندنيجين أمير علي قلندر من قبل السلطان أحمد »

كأن ساقيها على عاتقي كراع شاة فوق قنّارهْ[1]

والقنّارة من الكلمات الشائعة على ألسنة العراقيين في المئتين السابعة والثامنة ، ففي أخبار سنة ٦٩٤ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « كان يسلك في أيام حكمه قاعدة بهاء الدين بن شمس الدين الجويني في التمثيل وشناعة القتل ، وأحدث القنارة بواسط ، كما أحدثها بهاء الدين الجويني في أصفهان[2] » هذا ما ورد في الحوادث الجامعة ومن الكلمات الفصيحة بهذا المعنى كلمة صنارة أو سنارة (بالسين) ، وهي كلمة لاشك في عربيتها ، ففي (اللسان) : أنها الحديدة الدقيقة المعقفة ، والكلمة مخففة ، والعامة تشددها ، وتستعمل في شص الصائد ، لأنه يشبهها ، أو هو هي وزعم بعضهم أن الكلمة ـ أي سنارة أو صنارة ـ دخيلة ، أو معربة من السريانية وقال أبن فارس في(المقاييس) : « الصاد والنون والراء ليس بأصل ، ولا فيه ما يعوّل عليه ، لقلة الراء مع النون ، مع أنهم يقولون الصنارة حديدة بالمغزل وليس بشيء » ويقول بعض المعنيين بالبحوث اللغوية المقارنة : إن صنارة سريانية الأصل ، وإنها تعني في هذه اللغة شصاً يصاد به السمك . ويقول آخرون : إن مأخذها من الفصحى قال أبن الأعرابي : السنانير عظام في حلق الإبل . وعلى هذا ، لايستبعد أن تكون الصنارة مستعارة منها . ووجه الشبه هو النشوب في الحلق . هذا ، ويلاحظ أن كلاً من السنارة والقنارة معروفتان في لهجتنا العراقية الشائعة الآن .

(ك)

٦٤ — (الكارخانة) : كلمة فارسية ، مركبة من : (كار) بمعنى عمل ، كسب ، صناعة ، حرفة ؛ ومن كلمة (خانَه) بمعنى دار ، منزل ، محل . فقولهم « كارخانَهْ » تعني المعمل أو المصنع وعرفت هذه اللفظة في اللهجة العراقية على عهد الدولة الايلخانية المغولية ، وفي عصور الفرس والأتراك وأستعملت في اللهجة التركية الحديثة لمنزل الفجور . ووردت بمعنى المصنع في (كتاب الحوادث الجامعة) ـ في ترجمة أبن الدرنوس مستشار المستعصم العباسي ـ :

(١) شفاء الغليل (١٥٤) (٢) الحوادث الجامعة (٤٨٦)

« رتب بعد واقعة بغداد خادماً للديوان ، ثم نقل خادماً الى الكارخانة [1] » . وجاء في الكتاب المذكور أيضاً : « دخل تاج الدين الهمداني كاتب الكارخانة على علاء الدين صاحب الديوان [2] » .

وقد قل أستعمال هذه اللفظة في لهجة العراقيين الحاضرة ، وحلت محلها كلمة المعمل والمصنع .

هذا ، وكلمة (خانة) من الكلمات الفارسية التي دخلت في التركيب مع كلمات عربية وغير عربيّة ، فيقولون : (عباخانَهْ) أي مصنع العباءات ، و (أكمكخانَهْ) بمعنى المخبز ،

٦٥ — (الكارة) : الكارة في اللهجة العراقية الشائعة وزن معروف ، وأكثر ما توزن به تمور البصرة والكلمة شائعة في لهجة البصريين هذا اليوم . ولم تكن الكارة كذلك في قديم الزمان ، فالكارة لغةً الحمل الذي يحمله الرجل على ظهره قال الجوهري : الكارة مايحمل على الظهر من الثياب ، أو هي مقدار معلوم من الطعام وزاد صاحب (التاج) على هذا التعريف قوله : يحمله الرجل على ظهره ، ومن ذلك الكَور وهو لوث العمامة وتكويرها وشدها أو إدارتها على الرأس ويستفاد من موارد أستعمال الكارة في أواخر عصور العباسيين وأوائل عصور الدولة المغولية أنها وزن أو مقدار معلوم توزن به الغلات والحبوب ، وليس التمور فقط كما هو شائع اليوم ، ففي أخبار سنة ٦٨٧ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « أحضر بعض أهل السواد كارة من الدخن بيعت بدرهم » يعنون مقداراً معيناً من هذه الغلة ، ومن ذلك قولهم هذا اليوم في اللهجة الشائعة : « كارة من الحشيش » . هذا ، والكار يعني (العمل) في الفارسية ، ويكثر أستعماله في لهجة العراقيين قديماً وحديثاً وفي حالة التركيب والإفراد ، وفي جنوب العراق نهر دارس يسمى (الكار) ورد ذكره في كتب التاريخ ، ومن ذلك تاريخ الكامل لابن الأثير . والكار لفظة يطلقها العراقيون على مجموعة كبيرة من السفن الشراعية الموسوقة بالبضائع والغلات .

٦٦ — (الكرّاثة) : علامة أوسمة من سمات الدولة ، تمنح لكبار رجالها ، وتحمل في الحفلات . وهي عبارة عن قطعة ذات أضلاع شبيهة بعيدان الكراثة البقلة المعروفة ، تنشر على شكل مروحة ،

(١) الحوادث الجامعة (٤٠٦ — ٤٠٧) (٢) المصدر المذكور (٤١٤)

وتوضع على الجبهة بين العينين ، ويلبسها بعض الملوك والأمراء ورد ذكر الكرائة في حوادث سنة ٦٣٠ من كتاب (الحوادث الجامعة) في وصف حفلة تقليد العدل هبة الله بن المنصوري الخطيب نقابة نقباء العباسيين قال صاحب الكتاب : « كان من أعيان عدول مدينة السلام وأفاضل أرباب الطريقة المتكلمين بلسان أهل الحقيقة ، كان يصحب الفقراء دائماً ، وكان الموفق عبد القاهر[١] بن الفوطي من جملة تلامذته ، فعمل فيه أبياتاً طويلة لما أنتهى حالها إلى الديوان أنكر ذلك عليه ، ووكل به أياماً ، ولم يخرج إلاّ بشفاعته ، وأول الأبيات :

نادیت شیخي من شدة الحرب　　وشيخنا في الحرير والقصب

منها :

أعطيتَ (كرائة) فتهن بها　　عن طلب كان أشرف الطلب

لو أنها نجمة[٢] خشيت على　　دينك شركاً يكون عن كثب

وفي أخبار سنة ٦٤٤ من الكتاب المذكور : « خلع عليه ، وركب بالسيوف المشهورة والبسملة[٣] بين يديه والكرّائة بين عينيه » وفي أخبار سنة ٦٥٣ كلمة عن وفاة أحد

---

(١) في النسخة المطبوعة « عبد الغافر » ، والصحيح « عبد القاهر »

(٢) أنكر كثير من اللغويين تأنيث هذه الكلمة قائلين انها لم ترد بهذه الصورة إلا في كلام المولدين المتأخرين ، واحتج لها آخرون بورودها في بعض الأشعار القديمة

(٣) ورد ذكر البسملة في البيت الثاني من أبيات قصيدة عبد القاهر بن الفوطي المذكورة :

في دسته جالساً ببسملة　　بين يديه ان قام في أدب

والمقصود بالبسملة في هذا البيت وفي الحوادث الجامعة لوح يكتب عليه كلمة بسم الله ، يعرض أو يحمل في الحفلات . قال الفيروز آبادي : (بسمل) قال بسم الله وقال الشارح الزبيدي : هو من الأفعال المنحوتة المركبة من كلمتين كـ (حمدل ، وحوقل ، وحسبل ، وغيرها) ، وهو كثير في كلام المصنف ، إلا أنه قيل إن (بسمل) لغة مولدة لم تسمع عن العرب الفصحاء ، وقد أثبتها كثير من أئمة اللغة كابن السكيت والمطرزي ، ووردت في قول عمر بن أبي ربيعة :

لقد بسملت ليلى غداة لقيتها　　فيا حبذا ذاك الحديث المبسمل

ووردت أيضاً في كلام غيره وروي : « فيا بأبي ذاك الغزال المبسمل » ، وقد أشار اليه الشهاب في العناية وفي التهذيب : (بسمل) كتب بسم الله

حجاب المناطق : « كان معجباً بنفسه ، مغالياً في ملبوسه ومركوبه وعرض الطراز وطول الكرائة »

٦٧ — (الكشك أو الكوشك) : تركية الأصل ، كانت معروفة الى عصر قريب في اللهجة العراقية بمعنى (منظرة) ، أو منزل صغير ، أو هو بيت يبنى على شكل خاص ، عرّبته العرب قديماً بقولها (جوسق) . وشاعت كلمة الجوسق المعربة في عصور أزدهار اللغة العربية ، ولم تعرف كلمة الكشك إلا في عصور العباسيين الأخيرة ، وبعد ذلك في عصور المغول والأتراك ، وذكرت في كتب التاريخ المصنفة في تلك العصور ففي أخبار سنة ٦٣٥ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « فيها خرج المستنصر بالله الى الكشك ، وظهر للأمراء ، وأمرهم بالمشورة » ويستفاد من هذا الخبر أن الخليفة لم يكن يظهر حتى لأمراء دولته ، إلا في الأحايين ولهذه اللفظة ذكر في سياق الأخبار المسرودة في (كتاب الحوادث الجامعة) أكثر من مرة ، طوراً بأسم الكشك ، وتارةً بأسم (كشك اللكية) ، ففي أخبار سنة ٦٤٣ : « فيها جرى معتوق الموصلي المعروف بكوثر الكلام من دقوق (دقوقا) ساعياً على قدميه ، فوصل (كشك اللكية) ، ودخله وكان الخليفة هناك ، ومعه الشرابي ، وهو أستاذه ؛ ثم خرج من الكشك ، وعاد الى الوقف ، ثم رجع الى الكشك وقد بقي من النهار ساعة ونصف ، فقبل الأرض بين يدي الخليفة ، فتقدم له بخمس مئة دينار ، وأعطاه الشرابي ثلاث مئة دينار ، وحصل له من أرباب الدولة شيء كثير [1] » وفي أخبار سنة ٦٤٦ : « سعى علي بن الإرْبِلِيّ من دقوق — دقوقا — الى بغداد ، فوصل بعد العصر ، وفضل على معتوق الموصلي المعروف بالكوثر نصف ساعة ، ودار حول الكشك شوطاً ، وخرج الى التفرج عليه الخليفة المستعصم بالله وأولاده ، وجلسوا في الكشك الى حين وصوله . وكان هذا المذكور مختصاً بخدمة الأمير مبارك ولد الخليفة ، فأمر له بفرس من مراكبه وخلعة

(١) الحوادث الجامعة (٢٩١) ، ولاحظ تشويش النسخة وتداخل السنوات .

وذهب ، ودارَ من الغد في البلد بالطبول والبوقات ، فحصل له شيء كثير [1] » وهـــذا الـكشك الذي كان المستعصم يخرج اليه للاحتفال بالسباق بين السماة أو العدّائين أو للاجتماع برجال دولته كما جاء في (الحوادث الجامعة) ، قديم ، أي أنه أقدم من عصر المستعصم ؛ فقد ورد ذكره في أخبار سنة ٥٥٧ من (تاريخ الذهبي [2]) : « فيها بني للخليفة كشك ، وآخر للوزير ، وأنفق عليهما مبلغ عظيم » ثم ورد ذكره في حوادث سنة ٦١٤ من (الـكامل) لابن الاثير ، وذلك عند كلامه على غرق بغداد في الجانب الشرقي ، فقال : « فيها زادت دجلة زيادة عظيمة ، لم يشاهـــد في قديم الزمان مثلها ، وأشرفت بغداد على الغرق ، فركب الوزير وكافة الأمراء والأعيان ، وجمعوا الخلق العظيم من العامة وغيرهم لعمل (القورج) حول البلد ، وغرق مشهد أبي حنيفة وبعض الرصافة وجامع المهدي وقرية الملكية والـكشك ، وانقطعت الصلاة بجامع السـلطان » . ويستفاد من ذلك تعيين موضع الـكشك المذكور ، وأنه لم يكن بعيداً عن ضواحي بغداد الشرقية القريبة من الباب المعروف بباب الحلبة

٦٨ — (الـكلّچيّـة) : بجيم فارسية ، كلمة تركية مركبة من (كلّـه) مشددة بمعنى الرأس ومن أداة النسبة في اللغة المذكورة ، فهي تعني الرّواسين [3] أو باعة الرؤوس في أصل استعمالها ، ثم أطلقت في عصور المغول على فرقة خاصة من الحرس أو الشرطة ، فقد جاء في أخبار سنة ٦٦٣ من (كتاب الحوادث الجامعة) عن هجوم البغداديين على دار الجاثليق واستغاثته بالجويني صاحب الديوان ما يأتي : « أمر الـكلچيّـة بكف العوام ، وركب الشحنة فأخذ نفراً من القوم » ، وفي أخبار سنة ٦٦٩ عن نهب البغداديين محال اليهود : « ركب جمـال الدين في جمع من الكلچية ، ومنعهم عن ذلك »

من ذلك يستفاد أن (الكلچية) ضرب من الحرس أو الجند وما الى ذلك ، على أن المناسبة ليســـت واضحة لنا في هذه التسمية ، فلعل شعار هذه الفرقة من الحرس كان صورة للرأس أو (الكَـلّـة) كما يسميها الأتراك ، وعلى أي حال فلا يعتبر هذا دليلاً قاطعاً على وجه هذه التسمية .

(١) الحوادث الجامعة (٢٣٥) (٢) نسخة خزانة الأوقاف العامة ببغداد

(٣) ويسمى بائع الرؤوس (الرواس) و (الكوارعي) ، ولهما ذكر في كتاب الأنساب للسمعاني

ومن الجائز أيضاً ، أن هؤلاء الكلچية كانوا يحملون شمارهم على ما يلبسونه في الرؤس وقد جاء في أخبار سنة ٦٧٧ من (كتاب الحوادث الجامعة) عن وفاة ابن الدرنوس « كان في مبدأ أمره يعمل في الكلّة مع أرباب تنانير الآجر » ، ثم فسر صاحب الحوادث هذه المهنة فقال : « وهو الذي ينقل اللبن الى التنور » فلعل أصحاب هذه المهنة كانوا يحملون اللبن على رؤوسهم الى تنانير الآجر ، أو مفاخر الطابوق كما تسمى أيضاً في بغداد هذا وكان في بغداد موضع معروف يسمّى (الكلچية) ، أزيل منذ عهد قريب

٦٩ — (الكَلَك) : كلمة شائعة في اللهجة العراقية ، ويجمعونها على أكلاك ، ويسمى صاحبها (كَلاّ كاّ) في العراق الى الآن وهي قِرَبٌ ، تنفخ ، وتوضع عليها المرادي من أخشاب الحور أو نحوه ، على شكل مربع أومستطيل ، ينقل عليها الناس والغلّات والبضائع ، منحدرةً في النهر واختلف المعنيّون بالبحوث اللغوية في أصل الكلمة ، فمن قائل إنها آشورية أو أكدية ، ولا دليل لهم على ذلك سوى أن هذا المركب عرف عند الأكديين والآشوريين ؛ ومن ذاهب إلى أنها فارسية ، وقال بعضهم إن أصلها من الآرامية ومما يعزز رأي من يرى أنها آشورية أو أكدية أو آرامية أن هذا المركب لا يعرف في بلاد فارس ، وإنما عرف قديماً في العراق وعلى كل حال ، فان معجمات اللغة العربية خالية من مادة (كلك) . والعرب يسمون هذا المركب (رمثاً) أو (طوفاً) ، وجمعها أرماث وأطواف . وجاء في اللسان : الأطواف ، الأرماث التي يركب عليها فوق الماء ، والواحد طوف . وجاء في سفر الملوك من التوراة : « وأنا أسيرّها أطوافاً » ولهذا المركب أو لنوع من أنواعه اسم ثالث في العربية هو (العامَة) ، قال أئمة اللغة : العامة ، هو الطوف الذي يركب في الماء . وقالوا : المستعام مركب في البحر وفي المحكم : العامَة هنة تتخذ من أغصان الشجر ونحوه ، يعبر عليها النهر ، وهي تموج فوق الماء ، وفي (التهذيب) : جمع العامة عامات ويلاحظ أن تعريف العامة كما جاء في (المحكم) ، لا ينطبق على الكلك .

هذا ، وكانت لفظة الكلك بمعنى الطوف أو الرمث شائعة في لهجة العراقيين خلال المئتين

السابعة والثامنة ، ووردت في الكتب المصنفة في تلك العصور ، وذكرت مرتين في (كتاب الحوادث الجامعة) ، ففي أخبار سنة ٦٥٣ من الكتاب المذكور : « فيها حملت القصبة المعروفة بـ (قصبة فرعون) من سـر من رأى الى بغداد في الكلك ، ورفعت تحت دار الخليفة » ، وفي أخبار سنة ٦٥٤ من الكتاب نفسه : « فيها غرقت بغداد ، وكانت السفن والأكلاك تسير في الريحانيين من دجلة ، وتصل الى باب العامة » . وفي (كتاب گلشن خلفا [1]) : « أن خسرو باشا هيأ من الموصل ظروفاً لعبور آلتون صو ، فعبره ، وخيم العسكر المنصور في شهرزور » ويعني المؤلف أن هذا القائد عمل أكلاكاً لعبور النهر المذكور سنة ١٠٣٨ على عهد السلطان مراد

٧٠ — (كمّل — كمّل الشيء وكمّل العدد بمعنى أتمه) : عربية فصيحة مدونة ، وهكذا أشتقوا من مادة الكمال هذا الفعل المضاعف ، وأسماً للمفعول ، فقالوا : تكمّل العدد ، أي تم ؛ وعددهم مُكَمَّلٌ أي تام . وفي عصور الدولة العباسية الأولى شاع أستعمال كلمة التمام ومشتقاتها ، مثل تم وتام ، أكثر من أستعمال كلمة التكمل ومشتقاتها ، خلافاً لما وقع في أواخر العصور العباسية وعصور المغول بعد ذلك في العراق وبغداد ففي أخبار سنة ٦٧٩ من (الحوادث الجامعة) : « عمل الجويني جسراً مكملاً بسلاسله [2] » ، وفي أخبار سنة ٦٩٣ من الكتاب المذكور أيضاً : « تكمّل معهم زيادة على ثلاثين ألف أسير [3] » ، وفي أخبار سنة ٦٨٧ منه : « لما تكمّلت الأموال في الخزانة ، توجه الأمير بها الى السلطان [4] » ويكثر العراقيون في لهجتهم الشائعة اليوم من أستعمال الأفعال والأسماء المشتقة من هذه المادة على تلك الطريقة المستعملة في (كتاب الحوادث الجامعة) ، وهو أستعمال صحيح لا أعتراض عليه وان كان الأفضل فيما نرى أن نقول (تكامل) العدد بدل (تكمّل) وهذه صنعة (كاملة) عوضاً عن (مكمّلة) .

٧١ — (الكنبثة) : وردت هذه الكلمة أكثر من مرة في (الحوادث الجامعة) ، ويستفاد من موارد أستعمالها أنها قبيبة صغيرة أو شبه مظلة أو سقيفة تبنى على سطح البيت وفيها

(١) (٧٥) من النسخة المطبوعة
(٢) الحوادث الجامعة (٤١٣)
(٣) المصدر المذكور (٤٧٦)
(٤) المصدر عينه (٤٥٤ ـ ٤٥٥)

منافذ الى داخله ، وقال آخرون : كنبثة الدار أعلى ما فيها المعقود على حجرة واسمة ، وليس في أصل مادة (كنبث) من المعجمات ما يناسب معنى الكلمة المصطلح عليه ، فالكنبث بالضم الصلب الشديد والمنقبض البخيل . وهاك بعض الموارد التي أستعملت فيها الكلمة بمعناها الاصطلاحي المحدث ، ففي أخبار سنة ٦٧٥ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « فيها تكرر وقوع النار في أسواق بغداد ومنازلها ، ولم يعلم سبب ذلك ، إنما كان الإنسان يرى النار في (كنبثة) داره أو خصّها » ، وفي أخبار سنة ٦٨٣ من الكتاب المذكور خبر خلاصته وفاة شهاب الدين علي بن عبد الله وكيل الديوان جاء فيه : « كان سبب موته أن أحيل عليه بعض المغول ، فأختفى منه ، ليحصل له ما أحيل به ، فكبس داره ، فأرتقى الى سطحها ، فسقط من الكنبثة ، فمات ، وعمره أربع وسبعون سنة »

٧٢ — (الكنبوش) : كلمة فارسية ، مركبة من : (كون) بمعنى دبر ، و (بوش) بمعنى غطاء فمعناها غطاء المؤخر ، يعنون مؤخر الفرس . استعملت بمعنى برذعة أو غاشية ، وتجمع على غواشٍ ، وهي السروج ، أو الأغطية المذهبة التي توضع على ظهور الخيول فوق البرذعة وكان الخلفاء المتأخرون والملوك والسلاطين من بني أيوب والمماليك يخرجون في المواكب وبين أيديهم سروج وغواش من أديم مخروز بالذهب ، تحمل بين أيديهم في المواكب والحفلات المذكورة . وقد يراد بكلمة الكنبوش ما يراد بكلمة (جل) ، ويجمع على جلال ، وذلك في قول بعض الباحثين وقد كثر أستعمال المؤلفين والمؤرخين في أواخر العصور العباسية وفي عصور الدول الأيوبية والمماليك والمغول لهذه الكلمة . وجمعت كنبوش على كنابيش ، كما جمعت سربوش على سرابيش ، وبقيار على بقايير ويقول بعضهم : إن المغاربة أطلقوا هذه الكلمة على غطاء للوجه من الذقن الى الخيشوم ، يتقون به برودة الهواء والرطوبة ، جاء في أخبار سنة ٦٣١ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « أعطاه المستنصر فرساً بمركب ذهباً وكنبوش إبريسماً » ، وفي حوادث سنة ٦٥٩ من (كتاب السلوك) للمقريزي : « قدم له فرس أشهب ، في عنقه مشدة سوداء ، وعليه كنبوش أسود » ، وقال القلقشندي ، وهو يتحدث عن رسوم السلطنة وآلاتها

في دولة الأيوبيين ودولة المماليك التركية وعن بيت الركاب دار : « ويشتمل على عدد الخيل من السروج واللجم والكنابيش والأجلال والمخالي ، وفيها من السروج الموشاة بالذهب والفضة المطلية والساذجة والكنابيش المتخذة من الذهب المزركش المزهرة بالريش وغير المزهرة » [1] هذا ما ورد في بعض كتب التاريخ عن الكنبوش ومردُّ هذه العناية بصناعة الكنابيش في الدول ، الى الموضع البارز الذي توضع عليه من هيكل الفرس ، فإنه ، كما لا يخفى ، مطمح أعين النظارة

(م)

٧٣ — (المحفدارية) : المِحفة بالكسر في أصل اللغة مركب للنساء كالهودج ، إلا أنها لا تقبب قال في (التاج) : يعني والهودج يقبب ، نقله الجوهري وقال غيره : المحفة رحل يحف ، ثم تركب فيه المرأة وقال ابن دريد : سميت بها لأن الخشب يحف بالقاعد فيها ، أي يحيط به من جميع جوانبه ، وهودج محفف بديباج : أي محاط به ، وحُفَّتِ الجنة بالمكاره : أحيطت بها فالمحفدارية هم أصحاب المحفّات المنيون بشؤونها في الأسفار ، أو الركوب ، جاء في أخبار سنة ٦٤٠ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « حضر في محفة لعجزه عن المشي » ، وفي أخبار سنة ٦٤٢ من الكتاب نفسه : « خلعوا على كل من كان في خدمها - يعني أم الخليفة - من النواب والأتباع والفراشين و (المحفدارية) والحمالين والسقائين والحداة والساقة والنفاطين والحراس [2] » ويعد المؤرخون المتأخرون من المصريين مثل ابن فضل الله العمري [3] في (كتاب التعريف بالمصطلح الشريف) المحفةَ من أدوات الملك ولوازمه ولا تزال هذه الكلمة — أعني المحفة — معروفة في لهجة العراقيين ، ولكنها تستعمل لمركب ينقل

(١) صبح الأعشى (٤/١٢) ، وانظر (٥٢ — ٥٤) من الكتاب

(٢) الحوادث الجامعة (١٩٢)

(٣) عد ابن فضل الله العمري المحفة من آلات السفر الملوكية في فصل ، جاء فيه : « واتخذ من المحفة مهداً ، يجد به راكبه الراحة ، ويقطع به البر وكأنه مركب يشق به البحر سباحة ، لا يعرف ممتطي صهوته بعد المدى وقد حلت على البغال فهي تمور موراً ، ويجوب به الفلاة فلا تعرف نجداً أو غوراً » التعريف (٢١١)

عليـه المرضى أو الجرحى في ميـدان الحروب ، أو المقعدون هذا وفي لهجة المولدين المصريين يقولون : (مِحارة) بكسر الميم وبالحاء والراء المهملتين لهودج صغير ، تشبيهاً له بمحار الصـدف ، قال الورّاق :

بات عيشـي على المحـ ـارة عيشـاً منغّصا

وفي (المقتضب) لابن السيد : محار الصدف حين يعرى من اللحم ، واحده (محارة)[1] .

وفي (قاموس) الفيروز آبادي : « المحارة (بالفتح والتخفيف) الصدفة ونحوها من العظم ، وشبه الهودج » والمحارة معروفـة شائعة في لهجة العراقيين هذا اليوم بمعنى الصدفـة ، ولا يعنون بها الهودج ، إلا أنهم يلفظونها بالتشديد قال الزبيدي : المحارة شبه الهودج ، والعـامة يشددون ، ويجمع بالألف والتاء هـذا ، وفي الميم من كلمـة محارة قولان ، فمن اللغويين من يقول إنها زائدة ، ولذلك يقيدونها في مادة (حور) ، ومنهم من يقول إن ميمها أصليـة ، قال الزبيدي في (التاج[2]) : المحارة ، الصدفـة ، وهـذه عن الأصمعي قال الأزهري : ذكر الأصمعي وغيره هذا الحرف في(حور) ، فدل ذلك على أنها مفعلة من حار يحور ، وأن الميم ليست بأصليـة وخالفهم الليث فوضع المحارة في باب (محر) ، قال : ولا نعرف (محر) في شيء من كلام العرب

٧٤ — (المخلّـط والمخلّـطون) : المخلط لفظة مولدة ، معروفة الى هـــذا اليوم في لهجة العراقيين ، وتعني خليطاً من الفواكه المجففة ، فهي كلمة فصيحة ، وإن لم تدون في المعجمات . شاعت في أواسط عصور الدولة العباسية ، ووردت كثيراً في كتب التأريخ ، ولـكنها لا توجد في مادة (خلط) من معجمات الأئمة ومن كتب الأدب والأنساب والتأريخ التي وردت فيها هـذه اللفظة ، كتاب (نشوار المحاضرة) للتنوخي[3] وقال السمعاني في مادة (المخلطي) : « وهذه النسبة لمن يبيع المخلط ، وهو الفاكهة اليابسة من كل جنس اذا خلط بعضها ببعض ،

(١) شفاء الغليل للخفاجي (١٩٤)
(٢) مادة محارة ، لا مادة حور ، وتراجع في هذا الباب مادة محر وحور ومحارة من معجمات اللغة
(٣) (١/٩٨ ـ ٩٩)

فيقال لمن يبيع هذا : (المخلطي) » ثم سمى السمعاني بعض من ينتسب الى ذلك ، وأرّخ وفاته سنة ٥٠٨ ، ومعنى ذلك أن الكلمة كانت شائعة في لهجة الناس مستهل المئة السادسة .

وانتقلت هذه الكلمة من تلك العصور الى عصور المغول ، ووردت أكثر من مرة في (كتاب الحوادث الجامعة) وغيره من كتب التأريخ ففي أخبار سنة ٦٤٢ من (كتاب الحوادث الجامعة [١]) : « حمل اليها من البصرة ستة عشر جملاً عليها حلواء وأقراص ماء الليمون ومخلّط وبسر مطبوخ » ، وفي (رسالة ابن فضلان) المرفوعة الى الخليفة الظاهر سنة ٦٣١ عن أحوال أهل الذمة ببغداد : سميت بعض حرف اليهود كالطبابة بفروعها ، الى أن قال ابن فضلان [٢] : « منهم أرباب المعايش من المطارين والمخلطين والكسارين أصحاب المكاسب الظاهرة والارتفاقات الكبيرة بأموال التجار المسلمين [٣] » .

هذا ، ومما يؤيد قول القائلين إن التجارة بالمخلّط كانت محتكرة عند اليهود في العراق ، ما جاء في أخبار سنة ٥٧٣ من (تأريخ الذهبي [٤]) ، وهو يذكر حادثة وقعت في المدائن بين المسلمين واليهود بقوله : « خرجوا ، فنهبوا المخلطين ، لأن أكثرهم يهود » ويؤيد ذلك أيضاً ما ورد في أخبار سنة ٦٨٧ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « وقعت فتنة أوجبت خوف النواب من القتل ، فاختفوا ، وتحصنوا في بيوتهم ، فنهب العوام دكاكين اليهود من المخلطين » ، وقال العماد الحنبلي : « والمخلطون هم باعة المخلط [٥] »

٧٥ — (المراكن) : المراكن جمع مركن كمنبر ، جاء في (القاموس) : المركن آنية

---

(١) الحوادث الجامعة (١٩٢)

(٢) محيي الدين محمد بن يحيى ، يعرف بابن فضلان البغدادي ، قاضي القضاة المدرس بالمستنصرية ، له ترجمة حسنة في معجم ابن الفوطي (٥/ق ٢/ مادة محيي الدين / ٤٢) ، وفي شذرات الذهب (٥/١٤٦) يقول ابن الفوطي : « توفي سنة ٦٣١ ، قلد قضاء القضاة ، وولي تدريس المدرسة النظامية والنظر في وقوفها. ولما ولي الظاهر بأمر الله ، أقره على ولايته شهراً ، ثم عزله ، فلزم بيته لايخرج إلا لصلاة جمعة » هذا ما قاله ابن الفوطي وكان والده يحيى بن الفضل مدرساً بمدرسة دار الذهب قبل ذلك ، وله ترجمة في الشذرات (٤/٣٣١)

(٣) أنظر رسالة ابن فضلان هذه في كتاب الحوادث الجامعة (٦٧ ــ ٧٠)

(٤) مخطوطة مكتبة الأوقاف ببغداد . (٥) الشذرات (٤/٢٢ ــ ٢٣)

معروفة . قلنا : وهي كذلك الى الآن شائعة في لهجة العراقيين ، خصوصاً في الأرياف ، لعلبة من الخشب يحفظون فيها اللبن غالباً وجاء في (التاج) : المركن : شبه تور من أدم ، يتخذ للماء . وقيل : هي الإجّانه التي تغسل فيها الثياب ونحوها ، ومنه الحديث : « كانت تجلس في مركن لأختها زينب » . والجمع مراكن ومراكين يقال : زرعوا الرياحين في المراكين . أما (التور) ، فاليك ما يقول الزبيدي عنه في (التاج) : إناء صغير ، وعليه أُقتصر الزمخشري في (الأساس) ، قيل : هوعربي ، وقيل : دخيل وفي (التهذيب) : التور إناء معروف يشرب منه ، مذكر وفي حديث أمّ سلمة أنها وضعت حَيْساً في تور هو إناء من صفر أو حجارة كالإجانه ، وقد يتوضأ منه قال الزمخشري : مررت بباب العمرة على أمرأة تقول لجاريها : « أعيريني تويرتك » . جاء في أخبار سنة ٦٤٢ من (كتاب الحوادث الجامعة[1]) : « حمل اليها من البصرة شرَبات ومراكن » . ولفظة مركن ومراكن ، من الألفاظ الفصيحة التي أُحتفظت بها اللهجة العراقية ، ولكنها لا تعرف في جملة من اللهجات العربية الشائعة اليوم .

٧٦ — (المزاوير) : جمع مزوَّرة ، بصيغة المفعول ، حساء يطعمه المريض قالوا : إنها مولدة ، وقال الفقهاء : هي ما يطبخ خالياً من الأدهان ، وقال كشاجم :

شيخ لنا من مشايخ الكوفه نسبتُهُ للمريض موصوفه
لو حوّل الله قلبه غنماً ما طمع الناس منه في صوفه

يقول الخفاجي : « إن نسبته مزورة لا أصل لها ، وهذا من أبيات المعاني[2] » . ومن رأينا أن المزورة مشتقة من التزوير ، لخلوها من الدهن ، فهي (مرقة كذابة) ، كما يقول العراقيون هذا اليوم . جاء في (الحوادث الجامعة[3]) : « حتى صار الطباخون في الأسواق يعملون (المزاوير) » . والخلاصة ، فالكلمة ـ اعني المزورة ـ عربية الأصل ، وأشتقاقها من التزوير ، أي التلبيس ، موافق للأصول ، فلا معنى لردها ، والمناقشة في جواز أستعمالها ، بحجة عدم وجودها في

---

(١) الحوادث الجامعة (١٩٢) (٢) شفاء الغليل (١٨٦) .

(٣) الحوادث الجامعة (٤٠٧) .

المعجمات اللغوية ؛ إذ أن ما فات مصنفي المعجمات من الكلمات الفصحى أكثر من الكثير وقد عُني الباحثون المتأخرون في موضوع الكلام على الألفاظ والمواد التي لم يرد لها ذكر في معجمات أئمة اللغة وهي أقسام ، صححوا أستعمال أكثرها ، وأجازوا أخذه خصوصاً تلك الكلمات التي وردت في كلام فصحاء العرب ممن يحتجون بأقوالهم فملاك الأمر في أستعمال هذه الكلمات ، ليس ذكرها في المعجمات ، بل ورودها في كلام الفصحاء ، ومثل ذلك المصطلحات والكلمات التي ولدها المتأخرون ، وهي عربية المادة ، ولها أصل في اللغة ، وأستعملت في معانيها الجديدة على سبيل المجاز حتى صارت كالحقيقة ، وبعض الكلمات المعربة والدخيلة ، ويدخل في هذا الباب بعض أساليب النظم والتأليف المحدثة التي لم يعرفها العرب المتقدمون

هـذا ، والقياس أن تجمع المزورة على (مزورات) ، مثل مـدورة ومـدورات ومصورة ومصورات ، وجمعها على مزاوير كما جاء في (كتاب الحوادث الجامعة) ، غير صحيح ، أو مخالف للأصول بلا ريب .

٧٧ — (مس ـ بمعنى النحاس) : كلمة فارسـية الأصل معربة ، تعني النحاس ، وهي معروفة الى هـذا اليوم في اللهجات الفارسية بهذا المعنى ، ووردت أكثر من مرة في كتاب (الحوادث الجامعة) ، ومن ذلك : « يسرقون الذهب ، ويجعلون عوضه المس [١] » ، وفي حوادث سنة ٦٦٦ : « أمر بضرب فلوس من المس ، ليتعامل بها الناس ببغداد وغيرها ، كل أربعة وعشرين فلساً بدرهم [٢] »

(ن)

٧٨— (الناموس) : الناموس في الأصل مُختَبَأ الصائد وقُترته ، ومن ذلك قيل لصاحب السر ناموس . ويزعم بعضهم أنها من اليونانية ، ككثير من الكلمات التي تختم بحرف السين ، وفي ذلك ما فيه من التكلف هذا بعض ما يعنى بلفظة ناموس لغةً والكلمة شائعة في اللهجة العراقية الآن بمعنى الشرف والألتزام بالقواعد والأصول والمحافظة على العادات الحميدة ، وبهـذا

(١) الحوادث الجامعة (٦٧) (٢) المصدر المذكور (٣٥٨)

المعنى وردت في بعض كتب المؤرخين والأدباء من أبناء المئة السابعة والثامنة جاء في (سيرة جلال الدين منكبرتي [1]) : « جزع لموته جزعاً خرق فيه الناموس » ، معناه الأصول المتبعة في التجلد والصبر عند المصائب ، وقال الموفق عبد القاهر بن الفوطي من قصيدة داعب بها شيخاً صوفياً تقلد بعض مناصب الدولة سنة ٦٣٠ :

لو كانت الأرض كلها ذهباً أعرض عنها إعراض مكتئبِ

أسفر ذاك (الناموس) مختتلاً عن راغب في التراث مستلبِ [2]

وفي أخبار سنة ٦٧٢ من (كتاب الحوادث الجامعة) عن تأبين الملك عز الدين بن جعفر النيسابوري : « كان شيخاً جواداً مواصلاً لكل من يسترفده ، واشتهر ذكره في البلاد بالكرم ، وكان حسن السيرة عظيم الناموس [3] » ، وفي أخبار سنة ٦٩٤ نبذة عن سيرة فخر الدين بن الطرّاح صدر الحلة واستقلاله بواسط وما اليها جاء فيها : « كان جواداً سخياً كريماً ، ذا ناموس عظيم وسياسة ، تخافه الأعداء وسائر الرعايا [4] » ، هذا وتعني كلمة الناموس البعوض في لهجة أبناء الأرياف من العراقيين ، ومن ذلك (الناموسية) المعروفة والمصريون يستعملونها بهذا المعنى أيضاً ، قال الخفاجي [5] : ناموس بمعنى بعوض بلغة أهل مصر ، ومنه الناموسية ، ويستعملونه بمعنى التحجب ، وله وجه ، ولكنه لم يسمع من العرب والناموس ، كما في (شرح اللباب) للسيرافي : ما يقعد فيه الصائد ، واتُّسِعَ فيه حتى قيل (للسِرار) ناموس ، ومنه قول ورقة إنه كان يأتيه الناموس الذي كان يأتي سيدنا موسى ، عليه الصلاة والسلام ، يعني الوحي والسِرار . والعوام تستعمله لنوع من البعوض ، وكنت أظنه من كلام العوام حتى رأيت

(١) (٢٤١)

(٢) راجع أخبار السنة المذكورة من الحوادث الجامعة .

(٣) الملك عز الدين بن جعفر النيسابوري من أعيان عصر المغول في الثلث الأخير من المئة السابعة ، من نظراء علاء الدين الجويني ونصير الدين الطوسي وبهاء الدين بن الفخر عيسى الإربلي المنشي أنظر ترجمته في الحوادث الجامعة (٣٧٦ — ٣٨١) ، وراجع عنه كتاب الآداب السلطانية لابن الطقطقى (١٢ — ١٣)

(٤) أنظر سيرة ابن الطراح في كتاب الحوادث الجامعة (٤٨٤ — ٤٨٥) .

(٥) شفاء الغليل (١٩٨ — ١٩٩) .

الجرمي ذكره في (كتاب الأبنية) هذا ما قاله الخفاجي وقال بعض اللغويين: الجاسوس صاحب سر الشر، والناموس صاحب سر الخير.

٧٩ — (نفر) النفر: في الأصل الناس كلهم، وما بين الثلاثة والعشرة، جمعه أنفار. وقال بعض اللغويين: النفر والرهط والقوم ألفاظ معناها الجمع، لا واحد لها من لفظها، والنسبة الى نفر نفري قال الزجّاج: النفير جمع نفر هذا ما تعنيه كلمة نفر في أصل اللغة، غير أن هذه الكلمة أُستعملت في عصور المغول وعصور الأتراك ومن اليهم من الدول الأعجمية بمعنى الجندي العادي الذي لا رتبة له في الجيش، أو بمعنى الفرد، أو الشخص الواحد من الناس، والتثنية نفران في لهجتهم ويطلقون هذه الكلمة على الإنسان فقط في اللهجة العامية الشائعة، مع أن هذه اللفظة في الأصل لا تختص بالإنسان. قال الحريري في (الدرة): يقولون هم عشرون نفراً وثلاثون نفراً، فيوهمون فيه؛ لأن النفر إنما يصح على الثلاثة من الرجال الى العشرة، ولم يسمع عن العرب أُستعمال النفر فيما جاوز العشرة بحال وعند أهل اللغة أن الرهط بمعنى النفر أنه لايتجاوز ذلك [١] هذا ما قاله الحريري، ولم يرتضه الخفاجي شارح الدرة، وله عليه ملاحظات قال فيها ما يأتي: « ما ذكره — يعني الحريري — وان كان مشهوراً، ففي أقوال العلماء وأهل اللغة ما يخالفه، ولا يختص بالرجال ولا بالانسان، لقوله تعالى: (قل: أوحي إلي أنه أُستمع نفر من الجن) وفي (المجمل): النفر والرهط يستعمل الى الأربعين وقد فسر النفر بمعنى القوم، ومنه قوله تعالى: (وأعزّ نفراً). هذا ما قاله الخفاجي [٢]، ونقل بعد ذلك أقوالاً لبعض المفسرين في معنى الكلمة، إلى أن قال في ختام البحث ناقلاً عن صاحب (مطالع اللغة): « لم يرد النفر بمعنى الرجل، والأنفار بمعنى الرجال ». وخلاصة القول: تغير مدلول هذه الكلمة، وأصبح بين معناه في الفصحى ومعناه في اللهجة العراقية الشائعة فرق لايسهان به، والشواهد على ذلك من موارد الأُستعمال غير قليلة؛ ففي أخبار سنة ٦٣٥ من (كتاب الحوادث الجامعة):

(١) درة الغواص ط الأستانة (٣١)

(٢) شرح الخفاجي على الدرة (٨٣ — ٨٤)

« نهض على بدر الدين لولو صاحب الموصل نفران من الباطنية ليقتلاه [1] » ، وفي أخبار سنة ٦٥٣ من الكتاب نفسه : « فيها وقع بين أهل محلة الرصافة ومحلة أبي حنيفة والخضيريين فتنة ، أفضت إلى محاربة شديدة ، استظهر فيها أهل محلة أبي حنيفة والخضيريين على أهل الرصافة ، وطردوهم إلى باب المحلة ، وركبهم السيف ، وداهمهم الليل فازدحموا للدخول ، فمات منهم جماعة نحو ثلاثين نفراً [2] » ، وفي أخبار سنة ٦٧٦ : « فيها تحاكم نفران عند القاضي ببغداد في ثلاثة فلوس » ، وفي أخبار سنة ٦٩٠ من هذا الكتاب : « ركب جمال الدين في جماعة من الجند والكلجية ، ومنعوا العوام عن ذلك ، وحبسوا جماعة منهم ، وقتلوا نفرين ، فسكنت الفتنة [3] » فكلمة نفرين هنا تعني شخصين في ذلك العصر ، ومازالت تستعمل بهذا المعنى في لهجة العراقيين المعاصرين وفي مصطلحات الأتراك العسكرية وفي لهجة فريق من عامة العرب الى هذا اليوم وقد وردت في عبارة (الحوادث) كلمة « الكلجية » أكثر من مرة ، وهي كلمة تركية تعني الرواسين في الأصل [4]

٨٠ — (النقرة) : كلمة فارسية ، تعني الفضة . يقول السيوطي : « إن أول ظهور الدراهم النقرة في خلافة المستنصر العباسي ، وهي نوع من الدراهم ، تضرب من سبائك الفضة ، وأول من ضربها المستنصر العباسي المذكور سنة ٦٠٢ [5] » . وعرف القلقشندي الدراهم النقرة في (صبح الأعشى) فقال : « الفضة النقرة عبارة عن سبيكة من الفضة والنحاس الأحمر بنسبة ثلثين من الفضة وثلث من النحاس الأحمر ، ومنها كانت تضرب الدراهم النقرة [6] » . وفي سيرة جنكيز : « لما أستولى على بخارى ، قال : أريد منكم الفضة النقرة التي باعها إياكم خوارزم شاه ، فإنها لي ، ومن أصحابي أخذت [7] » وقد عنى بالنقرة هنا سبائك الفضة . وفي أخبار سنة ٦٦٠ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « أبطلت الدراهم السود في الموصل ، وكانت نحواً من أربعين درهماً بدينار ، وضرب بها دراهم نقرة وفلوس » وفي حوادث سنة ٦٦٦ من

(١) الحوادث الجامعة (١٠٣) (٢) المصدر المذكور (٢٩٨)
(٣) المصدر عينه (٤٦٥) (٤) راجع عنها حرف الكاف من هذا المعجم
(٥) أنظر كتاب الأوائل للسيوطي (٩٩) (٦) صبح الأعشى (٣/٤٤٢ ، ٤٦٦)
(٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٢/٣٦٤)

الكتاب المذكور : « أمر الجويني بضرب فلوس من المس ، ليتعامل بها الناس » أما الدراهم السوداء ، فإن هذه الكلمة لا تدل على دراهم معينة ، لأنها أنواع شتى ، وكل درهم منها يعتبر في العرف ثلث درهم نقرة بحسب تعريف القلقشندي [١] وفي أخبار سنة ٦٨٢ من الكتاب المذكور : « أبطلت الفلوس النحاس ، وضرب عوضها فلوس فضة ، وجعل كل أثنى عشر فلساً بدرهم ، وسميت (دناكش) ، ثم أبطلت في سنة ٦٨٣ ، وأعيدت الفلوس المس ، وتعامل الناس بها : كل ثلاثين فلساً بدرهم [٢] » ، وفي أخبار سنة ٥٨٣ من (كتاب السلوك) للمقريزي [٣] : « أمر السلطان صلاح الدين أن تبطل النقود التي وقع الأختلاف فيها ، وتضرر العامة ، وأبطل الدراهم السوداء ، فسرّ الناس بذلك » ، وفي أخبار سنة ٦١١ من الكتاب المذكور : « فيها تعامل أهل دمشق وغيرها بالقراطيس السود العادلية ، ثم بطلت بعد ذلك وفنيت [٤] » .

ورد ذكر الدراهم النقرة أكثر من مرة في وصف المدرسة الناصرية والقبة التي كمل إنشاءها السلطان الناصر محمد سنة ٧٠٣ كما جاء في (نهاية الأرب) للنويري [٥] وفي أخبار سنة ٦٩٥ من (كتاب السلوك [٦]) : « بيع الخبز كل رطل بدرهم نقرة » ، وفي (نهاية الأرب) للنويري عن أخبار المدرسة الناصرية [٧] : « ويجعل من يختاره نقيباً عليهم ، ويقرر له ما شاء ، ويصرف لكل واحد من المدرسين ومعيديه وطلبته والنقيب في كل شهر من شهور الأهلّة ألف درهم نقرة » هذا ما ورد في كتب التاريخ المذكورة عن الدراهم السوداء ، والدراهم النقرة وعن الفلوس النحاسية ، وهي مصطلحات لا أثر لها اليوم في اللهجة العراقية .

والخلاصة : يعنى مؤلف (الحوادث الجامعة) كثيراً بسرد الأخبار المتعلقة بالنقود وضربها

---

(١) صبح الأعشى (٣/٤٦٦) (٢) الحوادث الجامعة (٤٣٠)
(٣) السلوك (١/٩٩) (٤) السلوك (١/١٨٠)
(٥) نهاية الأرب (٣٠/٣٤٨) وما يليها من مصور نسخة المكتبة الأهلية ، أو دار الكتب المصرية .
(٦) السلوك (١/ق٣/٨١٣)
(٧) وصفت المدرسة الناصرية التي كمل إنشاؤها سنة ٧٠٣ في نهاية الأرب (٣٠/٣٤٩ وما بعدها) من نسخة دار الكتب المصرية

وأسعارها من دراهم ودنانير وفلوس ، خصوصاً ما وقع من ذلك في عصور المغول [1] .

٨١ — (النوبة — مجموعة الآلات الموسيقية) : النوبة ـ في الأصل ـ الفرصة ، والدولة ، والجماعة من الناس ، وواحدة النوب تقول : جاءت نوبتك أي فرصتك ، وناوبه عاقبه ، وتناوبوا على الماء تقاسموه ، وأنتابهم أنتياباً أتاهم مرة بعد أخرى هذا هو معنى النوبة بالفتح في أصل اللغة ، ثم أطلقت هذه الكلمة في أواخر عصور العباسيين وفي بعض الدول الأعجمية على مجموعة من الآلات الموسيقية التي يعزفون بها في أوقات ومواعيد رسمية معينة قال أبن الساعي عن أبن المكشوط : « كان يخدم ناظراً في النوبة المكيّة بين يدي زعيم الدين ابن جعفر [2] » . هذا ما قاله أبن الساعي، ولم نعرف على التحقيق ماذا أراد بقوله «النوبة المكيّة» أأراد النوبة الموسيقية، أم نوعاً آخر من النوبات ؟ وهي تحتاج الى مزيد من التحقيق وفي أخبار سنة ٦٣٤ من كتاب (الحوادث الجامعة) نبذة عن الأحتفال بزواج مجاهد الدين الدوادار ، جاء فيها : « في عشية هذا اليوم نفذ له أحد عشر طبلاً ، وإحدى عشرة قصعة ، وزوج صنج ، برسم طبل النوبة » ، وفي أخبار سنة ٦٧٥ من (كتاب السلوك [3]) : « وضربت نوبة آل سلجوق على عادتها ، وحضر أصحاب الملاهي كما هي عادة الروم ، فنهوا عن الضرب بالآلات وعن الغناء أيضاً ، وقيل لهم : هذه الهيأة لا تتفق عندنا ، وما هذا موضع الغناء ، بل موضع الشكر » . ويقولون أيضاً في هذا المعنى : « ضربت البشائر والطبول » يعنون ما يضرب عادة من طبول النوبة وما يعزف به من الآلات ، جاء في أخبار سنة ٦٣٠ من كتاب (الحوادث الجامعة) نبذة عن فتح إربل ، ورد فيها : « كتب الشرابي على جناح طائر الى الخليفة بصورة الحال ، فحصل الأستبشار بذلك ، وضربت الطبول على باب النوبي » . وخيل النوبة هي التي تربط قرب قصر الأمير أو الملك أو الخليفة ليركب منها حين يريد الركوب . وتسمى أيضاً فرس النوبة ، جاء في حوادث سنة ٦٦٠ من (كتاب السلوك) للمقريزي : « وأرسل لهم خيل النوبة [4] » . ولهذا اللفظ

---

(١) راجع أخبار سنة ٦٨٤ من الكتاب المذكور ، وانظر صفحة (٧٠) من الكتاب نفسه
(٢) الجامع المختصر (٨/٧٤). (٣) السلوك (١/ق١/٦٣٠) .
(٤) السلوك (١/ق١/٤٦١) .

معانٍ أصطلاحية أخرى في بعض اللهجات العربية الشائعة ، فهي تعني أحياناً فرقة من الحرس تتناوب الوقوف لحراسة قصر الملك أو دار الحكومة . والنوبة عند المغنيين أسم لآلات الطرب اذا أخذت معاً ، وربما أطلقها المصريون على الطربين بها مجتمعين ، ويقال لها (النوبجية) في اللهجة التركية والنوبة أيضاً الوقعة الحربية ، ومن ذلك قولهم « انتصر في النوبة الفلانية » .

نوبة ذي القرنين :

هذا ، وقد عني الخوارزميون كالسلاجقة من قبلهم بأمر هذه النوبات الموسيقية السلطانية ، وأصل ذلك عندهم ، فيما يقال ، أن السلطان علاء الدين خوارزم شاه لما عزم على المسير الى العراق ، وخالف على الخليفة الناصر ، ضرب لنفسه « نوبة ذي القرنين » ، وهي في وقتي الشروق والغروب ، بعدما كانت تضرب خمس نوبات في أوقات الصلوات الخمس ، ففرّقها لأولاده يضربونها في الأقاليم التي سمّاها لهم على أبواب دور سلطنهم ، فلذلك كان نور الدين يضرب بدمشق النوب الخمس ، وكانت آلات النوبة عند الخوارزميين من الذهب والخلاصة : لما كانت مجموعات الآلات الموسيقية تضرب على التعاقب والتناوب ، أطلقوا أسم النوبة على الفرقة أو المجموعة على سبيل المجاز والأستعارة

٨٢ — (النوكرية) : كلمة فارسية ، تعني الخدم أو الحاشية والأعوان . شاع أستعمالها بهذا المعنى في العراق من بعد عصر المغول ومفردها نوكر ، جاء في حوادث سنة ٦٦٣ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « أعيد الصاحب علاء الدين على قاعدته في بغداد ، ورتب هشتكاري نوكره [1] » يعني خادمه ، وفي حوادث سنة ٦٦٥ : « نوكرية هوشتكاري [2] » ، وفي رسالة علاء الدين الجويني الى أهل بغداد سنة ٦٨١ : « وقد نفذ ملك الأمراء والنواب جلال الدين والصدر فخر الدين والنوكرية ، ليشافهوكم بما شاهدوا [3] » وتستعمل هذه الكلمة في الزمن الحاضر كثيراً في بعض الحواضر العراقية التي يكثر فيها عدد الجالية الفارسية بمعنى الخدم . وجاءت كلمة نوكر (وجمعت على نوكران ، والنسبة اليها نوكري) أكثر من مرة

(١) الحوادث الجامعة (٣٥٣) (٢) المصدر المذكور (٣٥٧)
(٣) المصدر عينه (٤٢١) .

في (تأريخ مبارك غازاني) تأليف رشيد الدين الطبيب وزير المغول[1] .

(هـ)

٨٣ — (الهور) : الهور بمعنى البحيرة ، أو البطيحة ، أو المستنقع الواسع وتكثر الأهوار والبطائح في جنوب العراق وحيث تتبطح مياه الرافدين ومن أشهرها أهوار العمارة وهور الحمّار . والكلمة فصيحة معروفة الى الآن في اللهجة العراقية بهذه المعاني ، وزعم بعضهم أنها معربة ، وفي (القاموس) : « الهور البحيرة تفيض ـ وفي نسخة : تغيض ـ بها مياه غياض وآجام فتتسع ، جمعه أهوار » ولا تعرف هذه الكلمة في بقية اللهجات العربية الشائعة اليوم حتى في مصر التي تكثر فيها البحيرات ، فالهور هو البحيرة هناك . وقد وردت هذه الكلمة في بيت للشاعر العراقي مزيد المعروف بالخشكري النعماني الذي أمر علاء الدين الجويني بقتله سنة ٦٦٦ بحجة إلحاده في قصة غريبة[2] ، وهو القائل :

وكأنما (الهور) الطفوف وأهله الشـ ـهداء وأبن معية أبن زياد

وقد رويت قصة هذا البيت في (عمدة الطالب[3]) لأبن عنبة النسّابة .

(و)

٨٤ — (الوفر) : الوفر من المال والمتاع ، الكثير الواسع ، أو العام من كل شيء ، جمعه وفور ، وقد وفر المال والنبات كثر ، ونعمة وافرة واسعة ، ووفر عرضه لم يبتذله ، والوفرة الجمّة أو الشعر المجتمع على الرأس ، والجزاء الموفور الذي لم ينقص منه شيء . هذا هو معنى الكلمة في الأصل وفي اللهجة العراقية الشائعة ، أطلقت اللفظة على « الثلج » ، فقالوا : سقط وفر كثير ، ونزل الوفر من السماء ، يقصدون الثلج ، ولا يعرف ذلك في لهجة عربية أخرى ويدعي بعضهم أنها كلمة عراقية بهذا المعنى ، شاعت خلال المئتين السادسة والسابعة في العراق ، وما زالت معروفة الى اليوم في لهجة أبناء هذه البلاد ومن أقدم الشواهد على ورودها في لهجهم بمعنى

(١) أنظر الصفحات الآتية من التأريخ المذكور ، طبع انكلترة (٧ ، ١٥ ، ٢١ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٩ ، ١٣٠)

(٢) راجع الحوادث الجامعة (٣٥٩ ـ ٣٦٠)

(٣) العمدة (١٤٧ـ١٤٨) ، وتجد للشاعر المذكور ترجمة في (فوات الوفيات) لابن شاكر الكتبي .

الثلج ما جاء في ترجمة محيي الدين السهروردي من (تاريخ الدبيثي) المؤرخ الواسطي المعروف في عصر المستنصر ، وهذا نصه : « أنشدني ـ أي السهروردي ـ من نفسه ، ونحن جلوس بداره ، وكان الوفر ينزل :

ولما شاب رأس الدهر غيظاً   لما قاساه من فقد الكرام
وقام يُميط هـذا الشيب عنه   وينثر ما أماط على الأنام

وفي أخبار سنة ٦٦٧ من (الحوادث الجامعة) : « سقط في بغداد هذه السنة وفر كثير ، كان سمكه في السطوح دون الشبر[1] » ، وفي أخبار سنة ٦٧٤ من الكتاب المذكور : « وقع ببغداد وفر كثير على الأرض مقدار شبر[2] » هذا ، ولا بد لنا من القول إن كلمة (الوفر) بمعنى الثلج لا تعرف في لهجة الشاميين والمصريين ولهجات غيرهم من أبناء الأقطار العربية كما قلنا . وقد يحتج لتخريج هذ الأستعمال العراقي بأن الوفر هو الكثير الواسع العام من المال ، ولا يخفى أن الثلج اذا تساقط كان عاماً غامراً يشمل وجه البسيطة

(ي)

٨٥ — (اليارغو) : لفظة مغولية ، استعملت في عصر المغول بمعنى المحاكمة أو إجراء التحقيق ، ووردت أكثر من مرة بهـذا المعنى في (كتاب الحوادث الجامعة) ، ففي أخبار سنة ٦٦٢ : « عمل له يارغو ، وقوبل على أمور نسبت اليه[3] » ، وفي أخبار السنة نفسها : « فلما وصلوا ، وعمل اليارغو ، لم يثبت على الصاحب علاء الدين ما نسب اليه[4] » . فكلمة اليارغو هنا تعني هيأة تحقيق أو محكمة ما . ووردت هـذه الكلمة في مختلف صيغ الإفراد والجمع والنسبة ضمن (تاريخ مبارك غازاني) لرشيد الدين الطبيب[5] . وقد هجرت هذه

(١) الحوادث الجامعة (٣٦٢)
(٢) المصدر المذكور (٣٨٤)
(٣) المصدر عينه (٣٥١)
(٤) المصدر عينه (٣٥٢)
(٥) راجع الصفحات الآتية من التاريخ المذكور (٥ ، ١٠٦ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٤٩ ، ١٨٠ ، ٢٩٨) .

اللفظة وأمثالها من الألفاظ المغولية والتركية والفارسية ، وزالت بزوال ظل الدولة المغولية

٨٦ ـ (اليرليغ) : لفظة مغولية ، معناها المرسوم السلطاني ، ففي أخبار سنة ٦٥٦ من (تاريخ مختصر الدول) لابن العبري : « وصل اليه من خدمة قاءان باليرليغ والبوايز[1] » ، وفي أخبار سنة ٦٥٩ من (الحوادث الجامعة) : « وصل صاحب الديوان شمس الدين الى بغداد ، ومعه يرليغ يتضمن براءة أخيه علاء الدين[2] » ، وجمعت هذه الكلمة على (يرليغات) ويقول بعضهم إن اليرليغ مرسوم خاص بالبراءة ويفهم من (رحلة ابن بطوطة) في بلاد خوزستان أن هذه اللفظة كانت معروفة في تلك البلاد في أثناء زيارته لها ، وأنها تعني المرسوم أو القانون وعلى كل حال فان هذه الكلمة من الكلمات المغولية المماتة في لهجة أصحاب الدواوين العراقية بعد عصر المغول ؟

محمد رضا الشبيبي

(١) تاريخ مختصر الدول (٤٨٣) (٢) الحوادث الجامعة (٣٤٦)